وزارة التعليـم العالي والبحـث العلمـي

جامعة عمـار ثليجي

كلية العلوم الإنسانيـة والعلـوم الإسلاميـة والحضارة

قسـم التاريـخ

المغـــــول فـــي الصيـــــن

(602-769هـ/1206-1368م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيـط

اعـداد الطلبـة:

بركاتي براهيم

جاباالله عامـر

قطاف لخضـر

تحت اشراف الدكتور:

شـارف خالـد

السنـــــة الجامعيـــة: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (وَعَدَ اَللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخْلِفَنَّهُمْ فِي الاَرْضِ كَما اَسْتَخلَفَ الذِينَ مِن قَبْلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُم دِينَهُمُ الذِي اِرْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوفِهِمُ امنًا يَعبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون)

الآية 53 من سُورة النُور

شكر و وتقدير

قال تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) سورة لقمان الاية-11-

وقال النبي صل الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لم يشكر الناس) اخرجه البخاري، واحمد في مسنده، وصححه الالباني

اولا وقبل كل شيء الحمد لله على نعمه وألائه التي انعم بها علينا، ونشكره على منه وفضله وعلى نعمة الاسلام ونعمة العقل

ثم الشكر للاستاذ المشرف الدكتور خالد الشارف الذي عرفنا على تاريخنا الاسلامي بتوجيهاته وارشاداته وحرصه على غرس روح المطالعة والقراءة فينا لأنها كما يقول "المطالعة هي من ترسم شخصية الطالب"

كذلك الشكر موصول لأستاذنا بومدين كعبوش الذي لم يبخل علينا يوما بنصائحه ومتابعته الدائمة لمشوارنا داخل وخارج الجامعة

ونشكر ايضا استاذنا الدكتور فوزي رمضاني الذي طالما تعهدنا بنصائحه وارشاداته القيمة

كما نشكر استاذنا قدور طيفوري الذي طالما فتح لنا ايضا مساحات واسعة وحرة من النقاش والحوار

إهداء

الى كل الاباء والامهات

الى كافة العلماء والمعلمين

الى أبائنا واجدادنا الذين خلفوا لنا هذا التراث العظيم من مجلدات ومصنفات في كل حقول العلم والمعرفة

الى اولئك الذين صنعوا تاريخنا الاسلامي،الى الذين قادوا دفة الحضارة ذات يوم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين، وبعد:

لاشك بأن تاريخ المغول يعد من بين الموضوعات الهامة والمثيرة التي تجذب أنظار المؤرخ والباحث وحتى القارئ العادي، فحملات المغول الذين انطلقوا بها من منغوليا في أقصى قارة آسيا، على مراكز الحضارة في الصين وإيران والعراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام وشرقي أوربا ووسطها، شغلت حيزا هاما من تاريخ شعوب هذه المناطق لأكثر من قرنيين من الزمن.

فقد كان لظهور المغول انعكاسات بالغة التأثير على مجرى الأحداث في التاريخ البشري عامة والآسيوي والصيني خاصة، حيث إن بلاد الصين كانت الموطئ الأول الذي دكته سنابك خيل المغول منذ البدايات الأولى لتأسيس الإمبراطورية على يد "جنكيز خان" الذي توجهت أنظاره بداية لغزو الصين، التي كانت تعرف بدورها تحولات بارزة نتيجة الاضطرابات والانقسام الحاصل داخل أقاليمها، فاستطاع القائد المغولي بحنكته وسياسته ومن ورائه جحافل جيوشه تخطي السور العظيم الى داخل الصين، ليخوض خلالها عملياته العسكرية التي أفرزت عن غزوه لأقاليم واسعة في شمال البلاد سقطت على إثرها العاصمة آنذاك "زنغدوا" قديما "بكين" حديثا.

وقد تواصل الوجود المغولي في الصين بعد وفاة "جنكيز خان" حيث استكمل خلفائه من بعده سياساته الرامية الى إخضاع الصين، وبذلوا في ذلك مجهودات عظيمة، وخاصة خلال عهد "آكتاي" الخان الثاني بعد جنكيز خان و"منكو" الخان الرابع ثم من بعده "قوبيلاي" الخان الخامس.

وعليه جاء موضوع دراستنا لتاريخ التواجد المغولي في بلاد الصين موسوما بعنوان "**المغول في الصين(602-769هـ/1206-1368م)**تتبعنا فيه حيثيات التواجد المغولي في الصين من البدايات الأولى أي من بداية الغزو ومحاولات التوسع مرورا بمرحلة الاستقرار وتأسيس الدولة المغولية في الصين وصولا الى مرحلة الانهيار والسقوط

أهمية الموضوع:

يندرج الموضوع في إطار البحث في التاريخ المغولي من جهة والصيني من جهة أخرى، أو فيما يسمى بالدراسات الشرقية التي تشكل واحدة من أهم حلقات التاريخ الإسلامي والإنساني، والتي ينتظم في إطارها تاريخ المغول الذين ساهموا في كثير من التحولات البارزة في المشاهد السياسية والحضارية سواء في الصين او في غيرها من البلاد الإسلامية مؤثرين بشكل او بآخر في تاريخ علاقات العوالم المختلفة أنذاك.

أسباب اختيار الموضوع:

لاشك ان السبب الرئيسي لاختيار الموضوع هو توجيه أستاذنا الدكتور خالد شارف المتخصص في الدراسات الشرقية لخوض غمار هذه الدراسة والبحث في تاريخ المغول والصين، بالإضافة الى حب التطلع للتاريخ الشرقي والآسيوي الذي نعتقد أن فهمه واستقرائه من أهم مفاتيح فهم واقعنا اليوم، وقد شجعتنا ندرة الدراسات العلمية حول الموضوع حيث لم نقف في حدود اطلاعنا على دراسة تناولت موضوع التواجد المغولي في الصين منذ بداياته الى غاية إنتهائه، لذلك جاءت دراستنا كعمل تأسيسي وخطوة أولية تتبعها إن شاء الله دراسات أخرى تثري المكتبات العربية عامة والجزائرية خاصة.

الاشكالية:

وبناء على ما تقدم ارتأينا أن الاشكالية التي يمكن ان تحتوي الموضوع من جوانبه صغناها كالتالي :

ماهي حيثيات التواجد المغولي في بلاد الصين؟ وماهي ابرز مراحل هذا التواجد على اعتبار ان هذا التواجد قد اخذ زمنا طويلا؟ وكيف كانت نتائجه وإفرازاته على الصين وحضارتها؟

المنهج المتبع:

وللإجابة عن هاته الإشكالات اعتمدنا اساسا على المنهج التاريخي الوصفي القائم على جمع المادة وعرض الأحداث والوقائع التاريخية وتنسيقها وفق صورة ورؤية تقريبية لتشكلها، واعتمدنا كذلك على المنهج التحليلي فيما استلزمه منا البحث.

الخطة المتبعة في العمل:

اما فيما يخص الخطة التي اتبعناها في هذه الدراسة فيقوم هيكلها أساسا على مقدمة وثلاث فصول، فصل تمهيدي وفصل أول وثاني وخاتمة

وقد جاء الفصل التمهيدي تحت عنوان **أوضاع الصين قبيل ظهور المغول** تناولنا في مبحث اول جغرافية بلاد الصين من خلال ما كتبه عنها الجغرافيين والرحالة المسلمين، ثم تطرقنا الى الاوضاع التي آلت اليها الصين على إثر سقوط حكم سلالة "التانغ" حيث انقسمت البلاد الى صين شمالية تحت حكم قبائل الخِطا فيما يعرف في التاريخ الصيني بسلالة "لياوؤ" ثم سلالة "كين" والصين الجنوبية تحت حكم سلالة "سونغ" حيث كان هذا الانقسام من اهم أسباب التمهيد للغزو المغولي، اما في المبحث الثاني فقد تطرقنا للتاريخ المبكر للمغول في اصولهم ومواطنهم قبل تأسيس الامبراطورية المغولية المعروفة

اما الفصل الأول الذي عنوناه ب **تأسيس الامبراطورية المغولية والحروب على جبهة الصين** فقد تناولنا في مبحثه الأول اوضاع القبائل في منغوليا التي كانت تعيش نزاعات وصراعات، ثم توحدها تحت زعامة القائد المغولي "جنكيز خان" مؤسس الامبراطورية، الذي لم تقتصر جهوده على توحيد القبائل بل تعدى ذلك الى التوسع على حساب الأراضي الصينية وهذا كان عنوان المبحث الثاني الذي تناولنا فيه ايضا حروب خلفائه من بعده استكمالا لخططه لإخضاع بلاد الصين

فيما جاء الفصل الثاني بعنوان **امبراطورية المغول في الصين** او ما يعرف بسلالة "ايوان" التي أسسها الخان المغولي الخامس "قوبيلاي" والذي يعد واحدا من أهم خانات المغول من جهة واباطرة الصين من جهة اخرى، حيث استطاع ان يحكم الامبراطورية المغولية من الصين بعد نقلها من موطن اجداده منغوليا، فكان حكمه واصلاحاته التي قام بها لصالح بلاد الصين، في حين لم يرتقي خلفائه من بعده لمكانته وحكمه مما سبب ضعف ثم انهيار حكم سلالة "ايوان" والتي انتهى بسقوطها التواجد المغولي في الصين.

نقد المصادر والمراجع:

لعل ابرز مصدر أُلف في تاريخ المغول ولا يمكن لأي باحث في تاريخ المغول الاستغناء عنه بل هو العمدة في ذلك، كتاب "جامع التواريخ" لمؤلفه الخواجة رشيد الدين الهمذاني(ت718هـ)المؤرخ الكبير والكاتب الموسوعي، الطبيب الذي وزر في البلاط المغولي لعدة سلاطين من الإيلخانيين في بلاد فارس، حيث استعنا في دراستنا هذه بجزء هام جدا من أجزاء كتابه هذا، وهو الجزء الخاص بخلفاء جنكيز خان، فأفادنا كثيرا في كافة فصول الدراسة، كونه يتحدث عن عصر كل خان من خانات المغول من "آكتاي" الى "تيمور" بالتفصيل بداية بتقرير نسبهم وذكر زوجاتهم وابنائهم وظروف توليهم وتتويجهم بالعرش، وكذا حروبهم وتوسعاتهم، مع تفصيل لإصلاحاتهم الادارية والعمرانية والحضارية، الأمر الذي افادنا في رسم صورة لعهدة كل خان على حدا في جميع جوانبها، وخاصة الحروب على جبهة الصين في عهد "اكتاي" و"منكو" مع كل تفاصيل خانية "قوبيلاي".

ويأتي كتاب الرحالة الايطالي "ماركو بولو" في الدرجة الثانية من حيث الأهمية، فقد افادنا بخصوص عهد "قوبيلاي"خان حيث عاش ماركو بولو قرابة العشرين سنة في بلاط "قوبيلاي" فيعتبر كتابه من اهم مصادر تاريخ المغول في الصين، فقد نقل وصفا تفصيليا لكل ما يتعلق "بقوبيلاي" وحياته وما جرى في بلاطه وخارجه، مع وصف لأهم المدن الصينية ومجتمعاتها.

فيما تناثرت معلومات اخرى بين المصادر التي لم تعنى بشكل أساسي بتاريخ المغول في الصين، على قدر اعتنائها بتاريخ المغول، والتي نذكر منها "تاريخ فاتح العالم جهنكشاي" الذي يعد جنبا الى جنب مع"جامع التواريخ" كأحد المصادر المهمة لدراسة تاريخ المغول، وقد كان المؤلف عطاء ملك الجويني(ت681هـ)واحدا من رجالات الدولة المغولية، وحيث اننا لم نعتمد عليه بشكل اساسي إلا انه حوى معلومات متعلقة بموطن المغول وصفة حياتهم، فيما جاءت اشارات لبعض الحوادث للمغول في الصين في عهد "اكتاي" و"منكو"

كذلك يحظى كتاب "طبقات ناصري" لمؤلفه منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت بعد658هـ)بشهرة واسعة بين كتب التاريخ العام، وتأتي اهمية الكتاب كون المؤلف عاصر الاجتياح المغولي للعالم الاسلامي، وخاض معارك ضدهم بنفسه، وقد استفدنا منه في جزئيات مهمة كدور بعض المسلمين في حكومة جنكيز خان"، كذلك في وصف العاصمة "زنغدوا"-بكين-بعد سقوطها في يد المغول ومدى الدمار والخراب الذي لحق بها، كما افادنا ايضا في جزئية اخرى مهمة حول الثورات التي حدثت في الصين والتي كانت سببا في رجوع جنكيز خان اليها من غزواته في الغرب، ويذكر في ذلك موته في الصين.

اما فيما يخص المراجع فكتب المستشرق الانجليزي جون مان الكاتب والمؤرخ والرحالة المختص في الدراسات الشرقية وبالاخص المغول والصين، فتعتبر دراساته التي جمعت بين التاريخ والرحلة والاكتشاف من اهم المراجع التي اعتمدنا عليها كتابه "جنكيز خان الحياة والموت والانبعاث" الذي استطاع من خلاله تتبع تاريخ المغول خلال عهد جنكيز خان والتي من بينها غزواته في الصين فاستفدنا من ذلك،كما كان لكتابه الاخر الذي خص به الخان "قوبيلاي"تحت عنوان"كوبيلاي خان ملك المغول الذي اعاد بناء الصين" فقد تبعنا في كافة مباحث الفصل الثاني، من رسم لشخصية قوبيلاي الى حكمه وتوحيده للصين وكذلك اصلاحاته.

من المراجع المهمة المتخصصة كذلك كتاب"المغول في التاريخ" للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد المتخصص في تاريخ المغول دراسة وتحقيقا وتدريسا، فكتابه يعتبر المدخل الرئيسي لتاريخ المغول، فقد استفدنا منه تقريبا في كافة فصول الدراسة بحيث تناول تاريخ المغول بشيء من التفصيل، وكذلك نذكر مرجع اخر له اهميته البارزة في تاريخ الشرق وهو السفر العظيم الذي خص به المؤرخ الروسي بارتولد فاسيلي فلاديمروفتش بلاد التركستان وهو "تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي" وباعتبار العلاقات الوثيقة بين بلاد الصين وتركستان فقد استفدنا ايما استفادة من بحوث وتحليلات وتعليقات البحاثة بارتولد خاصة عندما يتحدث عن العصر المغولي، وبحكم اطلاعه على مصادر كثيرة جاءت

اهمية هذا الكتاب فالمصادر الصينية والفارسية التي لم نستطع الوصول اليها، وجدنا تعليقات عديدة عليها فاستفدنا منها في التحقق من عدة تواريخ واحداث ومقارنتها مع ما وجدناه في مصادرنا.

الصعوبات:

إن أهم الصعوبات التي اعترضتنا الى حد انها أعاقتنا في كثير من الأحيان هي صعوبة الحصول على المادة العلمية في الموضوع، فالمصادر التي تمكنا من الحصول عليها سواء العربية او التي ترجمت عن الفارسية أغلبها لم تهتم بتاريخ المغول في الصين وإن وُجدت إشارات فإنها لم تكن لتغطي موضوعا كبيرا كهذا، اما المصادر المتخصصة في تاريخ المغول والصين والتي لم نستطع الحصول عليها لعدم توفرها في المكتبات وحتى بصيغة pdf" كالتاريخ السري للمغول" او الحوليات الصينية "كتاريخ أسرة ايوان" فإنها شكلت العائق الاكبر، كذلك بالنسبة للمراجع المتخصصة والتي ان وجدت فإن اغلبها باللغات الاجنبية، اضافة الى قلة الدراسات الاكاديمية العربية حول المغول في الصين والتي كما قلنا من قبل لم نقف في حدود اطلاعنا على دراسة تناولت تاريخ المغول في جهة الشرق الاقصى، الا في بعض الدراسات التي تناولته في سياق دراسات أخرى كتاريخ الاسلام والمسلمين في الصين مثلا.

هذا بالإضافة الى بعض الصعوبات الاخرى التي لا يكاد يخلو منها بحث، إلا أننا حاولنا تجاوزها لتقديم هذا البحث المتواضع الذي نرجوا أن نكون قدمنا فيه على الأقل قاعدة ينطلق منها الباحثين وأساس تبنى عليه دراسات أخرى من بعد، و لا يسعنا في الأخير الا ان نقول "إن وفقنا فمن الله عز وجل الذي له الحمد والشكر من قبل ومن بعد،وإن اخطئنا فمن أنفسنا".

الفصل التمهيدي: أوضاع الصين قبيل ظهور المغول

المبحث الأول: الصين

أولا: جغرافية بلاد الصين

ثانيا: أوضاع الصين من سقوط سلالة التانغ الى الغزو المغولي

المبحث الثاني: التاريخ المبكر للمغول

أولا: موطن المغول

ثانيا: أصول المغول

المبحث الأول: الصين

أولا: جغرافية بلاد الصين

تعتبر بلاد الصين من أكثر البلدان التي حظيت بإهتمام بارز من قبل الجغرافيين المسلمين،إذ أنها كانت مقصد التجار والرحالة ،الذين ساهموا في توضيح جغرافيتها وموقعها ورسم حدودها، بذكر أهم أقاليمها ومدنها وتحديد الأمم المجاورة لها.

وقد جاء ذكر حدود بلاد الصين في العديد من المؤلفات، منها ما جاء في كتاب حدود العالم ،أن بلاد الصين بلاد الى الشرق منها بحر الأقيانيوس المشرقي والى جنوبها حدود الواق واق[1]وجبل سرنديب[2]والبحر الأعظم الذي سمي بإسمها أي بحر الصين، والى غربها الهند والتبت،وشمالها حدود التبت والتغزغز والخرخيز[3]،وهي الحدود الشمالية الغربية أي بلاد الترك أو ما يعرف بتركستان موطن قبائل الترك.

ويشير ابو الفداء بأن الذي يحيط بها من جهة الغرب المفاوز التي بين الصين وبين الهند، ويحيط بها من جهة الجنوب البحار ويحيط بها من جهة الشرق البحر المحيط الشرقي ويحيط بها من جهة الشمال أراضي يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المنقطعة الأخبار[4]

أما مساحتها فإن بلاد الصين بلاد واسعة في المشرق ممتدة من الأقليم الأول الى الثالث عرضها أكثر من طولها، نحو ثلاثمائة مدينة في مسافة شهرين[5]

---

[1]-**الواق واق**،بلاد اختلف في موقعها بين الجغرافيين المسلمين الا ان الدراسات الحديثة تورد انها اليابان وذلك بعد ان تم تفسير كلمة واق واق wo-kwok التي تعنيwo بلاد kwok اليابان ،انظر:عيساني شفيقة،**شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين**،رسالةماجستير،اشراف محمد بن عميرة،جامعة الجزائر2008،/2009،ص18

[2]-**سرنديب**، هي جزيرة عظيمة في هركند باقصى بلاد الهند طوله ثمانون فرسخا في مثلها، وفيها الجبل الذي يقال ان ادم عليه السلام نزل عليه ،(وهي حاليا جمهورية سريلانكا)،انظر : ياقوت الحموي(ت626هـ) ،**معجم البلدان**،دار صادر بيروت،دت،ص216

[3]-مؤلف مجهول(ت بعد 372)، **حدود العالم من المشرق الى المغرب**،تح: يوسف الهادي،الدار الثقافية،القاهرة،ط1،1999،ص50

[4]- عماد الدين ابو الفداء(ت732هـ) ، **تقويم البلدان** ،تح: ريفود و ديسلان ،دار صادر ،بيروت ،دت،ص363

[5]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني(ت682هـ)، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، دت، ص53

و أرض الصين طويلة عريضة، طولها من المشرق الى المغرب نحو ثلاثة أشهر، وعرضها من بحر الصين الى بحر الهند في الجنوب، والى سد يأجوج وماجوج، وقد قيل أن عرضها أكثر من طولها[1]

ويعتبر ما كتبه المروزي حول موقع وحدود هذه البلاد من أهم ما ألف فيه، جمع بين وصف أسلافه المسلمين والوصف المعتمد على التقسيم اليوناني للجزء المعمور من الأرض، وحسب هذا الأخير تقع أرض الصين في الأقاليم الثلاثة الأولى التي تمر بشكل عرضي على الأرض[2]

وفي ذلك يقول "بأن أرض الصين داخلة في ثلاثة من هذه الأقاليم لإمتداد أطرافها وكثرة بلادها، وتنقسم أراضيها الى ثلاثة أقسام هي الصين وقتاي التي يسميها العامة خطاي[3] و ويغر[4] ،وأعظمها خطة مملكة الصين"[5]

وعلى ضوء هذا التقسيم وفترة كتابة المروزي لكتابه، -كتبه نحو 514هـ-،فإن الصين كان يتقاسم نفوذها ثلاث قوى وهي الصينيين في الجنوب والخطا في الشمال والويغر في الإقليم الغربي

[1]- سراج الدين ابن الوردي(ت861هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**،تح: انور محمود الزناتي،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط1،2008،ص129

[2]-عيساني شفيقة ،مرجع سابق ،ص21

[3]- **الخطا او الكتان او القراخطاي** ،ان اصلهم من الأمور التي شغلت بال المؤرخين قديما وحديثا ومعظم الدراسات التي تناولت أصلهم اكدت انهم من العنصر التانكوتي او التنغوزي السائد شمال غرب الصين ضمن قبائل سيان بي القريبة من القبائل المغولية ،انظر:فاضل كاظم صادق، **قيام دولة القراخطاي وإتساعها في آسيا الوسطى**،مجلة اداب ذي قار ،العدد2010،1ص83

[4]-**ويغر**،ويقصد بها منطقة الاقليم الغربي من الصين المعروف ب"سنكيانغ يوغور" وهي تركستان الشرقية،عيساني شفيقة،نفسه،ص22

[5]- شرف الزمان طاهر المروزي، **أبواب في الصين والترك و الهند** ،ترجمه ونشره: منورسكي،لندن،1942،ص2

ثانيا: أوضاع الصين من سقوط حكم سلالة "التانغ" إلى الغزو المغولي

على إثر سقوط حكم سلالة "التانغ"السلالة التي حكمت الصين طيلة فترة(916/618م) دخلت الصين في حالة من الإنقسام والإضطراب السياسي،أدى هذا الانقسام الى قيام دويلات إستولت فيها عدد من الأسر على عدة أقاليم من الصين،وهو مايسمى في التاريخ الصيني بالأسر الخمس والممالك العشر في الفترة مابين (960/906م) ،فحكمت أسر "ليانج" و"التانغ" و"التسين" و"الهان" و"التشاو"،فيما إنتشرت عشر ممالك في الأقاليم الأخرى خاصة الجنوبية منها[1]

خلال فترة الصراع هذه نهضت أمة جديدة من البدو تعرف بالخطا أو "الكيتان" أو "الكتاي" التي نزحت من جنوب إقليم منشوريا،وذلك مع بداية القرن العاشر الميلادي/الرابع هجري، حيث إستغل هؤلاء الكيتان الوضع وتوحدوا تحت حكم خان منهم "تاي تسو" وقاموا بحملات حربية من أجل التوسع، وإستطاعوا أن يخضعوا شمال بلاد الصين، عرفت هذه السلالة في المصادر الصينية بإسم سلالة "لياوؤ"، إستمرت تحكم حوالي قرنيين من الزمن اي من سنة(304-519هـ/916-1125م)[2]

أما سلالة "سونج" التي حكمت من (1279/960م)، وكان مؤسسها "تشاو كووانغ يين"، الذي إشتهر بالدور الذي لعبه في إحلال السلم، بعد حرب أهلية إستمرت مايزيد عن سبعين سنة ،إستطاع بذلك إعادة توحيد الإمبراطورية...وتم بسط سيطرة الأسرة على كامل أنحاء الصين،ماعدا الأقاليم التي تحكمها أسرة "لياوؤ" [3] وسلالة "سونغ" سلالة إمبراطورية صينية، حكمت البلاد في حقبة متميزة من الحقب الثقافية في الصين، ويقسم عهد سلالة "سونغ" قسمين، سلالة "سونغ"

---

[1]- هيلدا هوخام ،**تاريخ الصين منذ ماقبل التاريخ حتى القرن العشرين** ،تر اشرف محمد كيلاني ،المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة،ط1،2002،ص178.جياو جيان ،**تاريخ الصين** ،ج2،دار بناء الصين ،بكين،الصين،ط1،1987،ص7

[2]-هيلدا هوخام ، مرجع نفسه،ص179.فاضل كاظم صادق، مرجع نفسه،ص83.الباز العريني،**المغول**،دار النهضة العربية،بيروت،1981،ص32.فؤاد عبد المعطي الصياد،**المغول في التاريخ**،دار النهضة العربية ،بيروت ،1980،ص23.بارتولد فاسيلي،**تاريخ الترك في آسيا الوسطى**،تر: احمد سعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1996،ص138

[3]-هيلدا هوخام، مرجع نفسه ،ص180 ،ص 183.مصطفى بن حسين ،**المغول وعلاقتهم بالقوى المسيحية والاسلامية** ،مذكرة ماجستير،اشراف رشيد تومي،جامعة الجزائر،2009/2008،ص18-20

الشمالية (1227/960م) وسلالة "سونغ" الجنوبية (1279/1227م) وأسست عاصمتها اللأولى في مدبينة "بيان جينغ" (حاليا "كاي فونغ" من مقاطعة "خنان")[1]

وقد خاضت "سونغ" الشمالية عدة حروب من أجل توحيد الصين وخاصة مع سلالة "لياوؤ" و من أجل إسترداد 16 إقليم، في عام (1004م) جرت معارك بين السلالتين إنتهت بعقد صلح "تشان تشو"،وبحسب ما تم الإتفاق عليه على أن تدفع أسرة "سونغ "مئة الف "ليانغ" من الفضة ومئتي الف "بي" من الحرير، واستمر الصلح لمدة قرن تقريبا ،إزدهر الإقتصاد والثقافة بفضل التبادلات المستمرة بعد توقيع الصلح[2]

وكانت أسرة "لياوؤ" هذه أكثر الأسر الأجنبية التي حكمت الصين تمثلا بالحضارة الصينية[3]،حدث لها ما يحدث لكل شعب محارب بطبيعته عندما يخلد الى الدعة وينغمس في تيار المدنية، فلقد بهرت هؤلاء الخطا الحضارة الصينية، وما كانت عليه من بذخ وترف فتأثروا بهذه الحضارة تأثرا شديدا، الأمر الذي أفقدهم روحهم الحربية، وجعل الضعف يتطرق إليهم تدريجيا[4]

فانتهزت هذه الفرصة جماعة "كين" وهم شعب ينتمي أصلا الى "التنغوز" من قبائل "الجورجين"، كانوا يسكنون أحد أقاليم منشوريا، وكانوا تابعين للخطا فحاربوا سادتهم الذين عجزوا عن مقامتهم، فانهارت دولتهم في الصين الشمالية سنة (519هـ/1125م)[5]

نجح "الجوتشين" او "الجورجين" إثر ذلك في تأسيس إمبراطورية على أنقاض دولة الخطا،عرفت فيما بعد بإمبراطورية "كين" او "جين" ملوك الذهب،"آلتن خان" وبقيام دولة "الكين" إنتهت مرحلة السلم والوفاق بين الإمبراطوريتين المتجاورتين "سونغ" و"كين"، حيث إندلعت الحرب بين الطرفين، فاستولت هذه الأخيرة على الأقاليم الشمالية وعلى عاصمة السونغ"بيان جينغ" ،و نزحت أسرة "السونغ" الى الجنوب واتخذت من مدينة "لين آن"حاليا ("هانغ تشو"من مقاطعة "تشجيانغ")

[1] – الموسوعة العربية ،https://www.arab-ency.com: 14-02-2017/17:07

[2] – سون يان جينغ ، **تاريخ الصين**، دار النشر الصينية عبر القارات،2010،ص93

[3] –بارتولد، مرجع سابق،ص139.الباز العريني، مرجع سابق،ص32

[4] –عبد المعطي الصياد، مرجع سابق،ص24. فاضل كاظم صادق،مرجع سابق،ص83

[5] –عبد المعطي الصياد،نفسه ،ص24

عاصمة لها [1]وبذلك عادت الصين الى الإنقسام شمالية وجنوبية، وتحولت الى ساحة للصراع مما مهد للغزو المغولي.

[1]– مصطفى بن حسين، مرجع سابق،ص21.اسامة احمد التركماني، **تاريخ الترك والتركمان**،دار الارشاد للنشر،سوريا،2007،ص198

المبحث الثاني: التاريخ المبكر للمغول

أولا: موطن المغول

تعتبر المناطق والأقاليم الشاسعة ، المسمات "بالإستبس" موطن الشعوب الآلتائية[1]،من أكثر المناطق الجغرافية التي عرفت تنوعا ووفرة بشرية هائلة ،جابت هذه الأخيرة الأراضي سائحة، مرتحلة ومهاجرة، منذ العصور القديمة، و شكلت على سهول و جبال آسيا الوسطى والشرقية مايشبه خلية النحل، متنوعة و مختلفة التنظيمات والعادات، شكلت لعصور طويلة تاريخ المنطقة.

من بين هذه الشعوب، شعب المغول الذي سكن هضبة منغوليا بين سلاسل جبال "تيان شان"شرقا وجبال "ألتاي"[2] غربا وما بينهما من سهول وصحراء "جوبي" ، وحول بحيرة "بيكال" وعلى ضفاف أنهار "أنون" و"كرولن" و"أرخون" ،و كانت أماكن إستقراره في السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها الدافئة شتاءً، حيث تتوفر المراعي لحيواناته، وفي الصيف يستقر في المرتفعات وأعالي الجبال حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي[3].

إلا أن البعد الشديد عن البحار فضلا عن الإرتفاع، أسهم ان يخص هذه الأراضي المرتفعة بمناخ قاري شديد الحرارة صيفا قارص البرودة شتاءً، إذ تتراوح درجة الحرارة في معظم أنحائها مابين 38فوق الصفر و42تحت الصفر،مما يؤدي الى تجمد أنهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة،بالإضافة الى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجليدية في سيبيريا الواقعة شمالا، وتنعكس هاته الحالة في فصل

---

[1]- **مجموعة الشعوب الآلتائية**،مجموعة عرقية واحدة كبيرة كانت تستقر قديما في منغوليا وسيبيريا،خاصة في جبال ألتاي تعيش حياة متشابهة، تعتمد على الصيد وهؤلاء ساكني الغابات السيبيرية الضخمة،او على الرعي وتربية المواشي وهم سكان السهوب،وتنقسم الى ثلاث مجموعات اتراك ومغول وتانغوز.انظر: اسامة احمد التركماني، مرجع سابق،ص15

[2]- **جبال تيان شان**، او جبال الجنة سلسلة جبلية ضخمة يصل ارتفاع بعض قممها ما يزيد على 25الف قدم، ويبلغ طولها حوالي 1200ميل ،تمتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ،اما جبال التاي فهي مجموعة من السلاسل الجبلية المرتفعة ،تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ما يزيد عن 700ميل ،على امتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة الى الشمال الغربي من منغوليا.انظر :الباز العريني،مرجع سابق،ص6.مكي محمدعزيز،**آسيا الموسمية**،دار ذات السلاسل،الكويت،1986،ص383

[3]-سعد بن حذيفة الغامدي، **سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام**،دار ابن حذيفة،ط2،1983ص54. إسماعيل عبد العزيز الخالدي، **العالم الاسلامي والغزوالمغولي**،مكتبةالفلاح ،الكويت،ط1،1984،ص19.المكين جرجيس ابن العميد،**أخبار الأيوبيين**،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،دت،ص7

الصيف حتى ترتفع الحرارة وتهب الرياح الشديدة المحملة بالرمال معظم أيام السنة،و على ذلك فإن الظروف الجغرافية والمناخية لمنغوليا قد جعلتا منها إقليما قفرا تصعب فيه الحياة[1].

هذه الظروف الصعبة حتمت على سكان هذه البلاد أن يعيشوا في شظف من العيش، وأن يتنقلوا من مكان الى أخر سعيا وراء الرزق، فالهجرة من مكان الى أخر وعدم الإستقرار في مكان معين قد أصبح من أهم الصفات التي يمتاز بها الشعب المغولي[2]

ويرد موطن المغول في المصادر الإسلامية على أنهم من سكان جبال "طمغاج"[3] او "طغاج" من أرض الصين[4]، و يمكن القول أن موطن المغول هو المساحات التي تمتد في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا،وشمال التبت وغربي منشوريا وشرقي التركستان،بين جبال ألتاي غربا وجبال خنجان شرقا[5]

[1]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، مرجع سابق،ص19. عبد السلام عبد العزيز فهمي، **الدولة المغولية في ايران**،دار المعارف،القاهرة ،1981،ص12

[2]- علاء الدين عطا ملك الجويني(ت681هـ)،**فاتح العالم جهنكشاي** ،تر: السباعي محمد السباعي ،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة،ط1 ،2007،ص62.حافظ احمد حمدي،**الدولة الخوارزمية والمغول**،دار الفكر العربي،1949،ص126

[3]- يرى حافظ أحمد حمدي أن كلمة "طمغاج"يحتمل أن تكون تحريف لكلمة من اللهجة التركية الشرقية "تبغاج"ومعناها المعظم أو المشهور وفي هذه الحالة يكون معنى لقب طمغاج خان هو الخان المعظم، وأن الإعتقاد السائد في وجود إقليم بإسم طمغاج ناشئ عن فهم خاطئ. أنظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين،ص39،وما يفند هذا الطرح هو اتفاق اغلب المصادر على انها موطن المغول،وما يؤكد ذلك تحديد القزويني على انها "مدينة مشهورة من بلاد الترك،ذات قرى كثيرة، وقراها بين جبلين في مضيق لاسبيل اليها الا من ذلك المضيق" وهو الموطن ذاته الذي تشكلت فيه قبائل المغول في تاريخها المبكر كما سنرى في المبحث التالي. انظر: القزويني، مصدر سابق،ص411

[4]- تقي الدين المقريزي(ت745هـ)،**السلوك في معرفة دول الملوك**،تح: محمد عبد القادر عطا،ج1،درا الكتب العلمية ،بيروت، ط1،1997،ص322.وانظر:الملك الأشرف الغساني(ت803هـ)،**العسجد المسبوك والجوهر المحكوك**،تح شاكر محمود عبد المنعم،دار التراث الاسلامي،بيروت ،1975،ص370.وانظر:بدر الدين العيني(ت855هـ)، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**،تح: فهيم محمد علوي شلتوت،دا الكتب المصرية ،القاهرة،ط2،1998،ص179. محمد بن أحمد النسوي، **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تح: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة،1953،ص39

[5]- عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص30

ثانيا: أصول المغول

من العسير على الباحث في تاريخ الشعوب الشرقية ،أن يلم بكثير من تفاصيل هذا التاريخ، ، وخاصة في ما يتعلق بأنساب وأصل القبائل المشكلة لهاته الشعوب، نظرا لصلات الترابط بين تلك الأمم، الإثنية والعرقية واللغوية والثقافية، أين إنصهرت مع بعضها البعض عبر تاريخها الطويل، مما حدا بالمؤرخين القدماء والباحثين المحدثين الى تعدد وإختلاف الروايات والأقوال في تحديد أصول الكثير من القبائل.

وتاريخ المغول المبكر بالتحديد تاريخ غامض في حد ذاته، فالمصادر التي كتبت عن تاريخ المغول عديدة لكن يكتنفها الغموض و الأسطورة والخرافة لذا لا يمكن الركون اليها، وهي لا تمدنا أصلا بمعلومات وافية كافية عن أصول المغول

وعلى كل فإن العلماء يقسمون الشعوب إلى ثلاث كتلات أو مجموعات: طورانية وسامية وآرية، فالأوروبيون والعجم والأرمن من نسل الآريين ويقال لهم الهندو أوروبيون، والعرب والسريان والعبرانييون من الأقوام السامية ، والترك من الطورانيين أو بتعبير أصح أن الطورانيين من الترك، وهو إسمهم العام وفي ضمنهم المغول[1]

وتتشكل شعوب "آلطاي" من ثلاثة أقوام :هم الأتراك والمغول والتانغوز–المانجو، وقد إنتسب هؤلاء بلهجاتهم الى الأسرة اللغوية الآلتائية أي التركية المغولية، أما لغة القبائل المغولية التي هاجرت الى بلاد الترك مثل ما وراء النهر وروسيا وأذربيجان، فقد ذابت لغتهم في أختها التركية لغة الشعوب في هذه الأقاليم[2]

الترك من الأقوام البيضاء... الساكنة بالبقاع الواقعة بين جبال "تنري" و"ألطاي" في إقليم جنغاريا (شمال تركستان الشرقية)...ويُرجع المؤرخون الأثار التي تعود الى سنة 1700ق م والتي أكتشفت في

[1]– عباس العزاوي ،**تاريخ العراق بين إحتلالين**،م1، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،لبنان،ط1،2004،ص53

[2]–يلماز ازتونا،**المدخل الى التاريخ التركي**،تر: ارشد الهرمزي،الدار العربيةللموسوعات ،بيروت،لبنان،ط1،2005،ص23.ادوارد بروي، **تاريخ الحضارات العام**،م3،تر: يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات ،بيروت،ط2،1986،ص355. اسامة التركماني،مرجع سابق،ص16

جنوبي سهل سيبيريا الى هذه الأقوام...وفي نفس هذه العصور نرى أقوام المغول والتنغوز وهي من أقرب أقرباء الأقوام التركية...إلا أن الثابت هو أن الأتراك إبتدءا يختلفون عن المغول[1]

وفي ذلك يقول مؤرخ المغول الكبير الخواجة رشيد الدين الهمذاني "ومع أن الأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون وأطلق عليهم في الأصل لقب واحد، فإن المغول صنف من الأتراك، وبينهم تفاوت وإختلاف شاسع"[2]

وإذا علمنا أن تسمية الترك لم تطلق على الشعوب القديمة حتى القرن السادس الميلادي في عصر دولة الكوك ترك[3]على الأقوام التي تتكلم التركية ذات التركيبة البشرية الواحدة[4] فإنه ومن هذا التاريخ لا يمكن تصنيف المغول ضمن القبائل التي أطلق عليها إسم الأتراك او الترك

وتاريخ المغول المبكر،حسب السجلات الصينية ينحدرون من قبائل "الشواي" ، الذين قطنوا شمال الصين على ضفاف نهر "أمور"، وورد اسمهم أول مرة "مينيو" "مونج-وا" او "مونجهول" في حوليات أسرة "التانغ"(907/618م) وسط قبائل "الشيواي"، والتي كانت على صلة قرابة مع الكيدانيين "الكين"، وجاءت هجرات هذه القبائل نحو الغرب بسبب الحروب الداخلية وهجمات الجيران ومع إخوانهم الكيدانيين، بداية من منتصف القرن التاسع الميلادي،إضطر "الشواي الى ترك ديارهم والهجرة الى الأجزاء الشرقية من منغوليا بين أعوام(272_274هـ/885_887م)[5]

وتعرضت هذه القبائل لبطش ومذابح على أيدي القبائل الأخرى، ولم يبقى منهم غير رجلين هما "قيان" و"نكوز" ونسائهما،وهربت هاتان الأسرتين، سالكين الأماكن الوعرة التي تحدها الجبال و الغابات ولا يمكن الوصول إليها ولاتوجد فيها طرق،عدا درب ضيق المسلك،وسط هذه الجبال أرض

---

[1]- يلماز ازتونا، مرجع سابق،ص11-13

[2] - رشيد الدين الهمذاني(ت718هـ)، **جامع التواريخ "تاريخ هولاكو"**،تر:محمد صادق نشأت،محمد موسى هنداوي،فؤاد عبد المعطي الصياد،مج2،ج1،دار إحياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة،1960،ص212

[3]- في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي نشاة امبراطورية تركية هائلة هي امبراطورية توكيو وتعرف بدولة كوك ترك مؤسس هذه الدولة هو الخاقان بومن ، بالتعاون مع سلالة التي كانت تحكم الصين الشمالية ،واصبحت اكبر امبراطورية في آسيا. انظر: اسامةالتركماني، مرجع سابق،ص36

[4]- بارتولد فاسيلي، مرجع سابق،ص44. يلماز ازتونا، مرجع سابق،ص14

[5]- ي-ا-كيتشانوف، **حياة تيموتشيجين الذي فكر في السيطرة على العالم**،تر: طلحة الطيب، مركز جمعة الماجدللثقافة والتراث،دبي،2005،ص10-16.رغد عبد الكريم النجار، **إمبراطورية المغول (دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم)**،مجلة اداب الرافدين ،العدد59،2011،ص6-8.بن حسين مصطفى،مرجع سابق،ص52

خصبة وواسعة مليئة بالاعشاب،ذات مناخ جيد،وتسمى هذه المنطقة "أرغون كوني"او "أركنة كون" ويرجع معنى كلمة "كون"منحدر صخري،وكلمة"أرغون"،بمعنى حاد،أو بمعنى أخر الهضبة الجبلية ذات الإنحدار الشديد،ومن هنا تكونت قبائل المغول،فصار يسمى أولاد "قيان" باسمه اي "قيان" او"قتات" ،وأولاد "نكوز"باسم"دورلكن"او"دوركلين"[1].

وعلى كل فإن المصادر التاريخية تورد حكاية المرأة الجميلة "ألان قوا" من "أرغون كوني" التي حملت من نور،وأنجبت ثلاث أولاد،أحدهم "بوزنجار" أو "بودونتشار" الذي صار ملكا من أبناء "ألان قوا"،(وإليه يرجع نسب "جنكيز خان")الذي أوصل إبنه "خايدو"أو "قيدو" لزعامة القبيلة،وبعد أربعة أمراء تولى "خابول خان" الذي استطاع أن يوحد القبائل المغولية تحت زعامته،و تولى من بعده "أمباغاي" الذي لقب "بالكاغان" مؤسس الدولة المغولية الأولى،وفي منتصف القرن الثاني عشر دخلت قبائل "المنغكو-تتا"أي المغول في حروب مع دولة "الكين" في عهد خلفاء "أمباغاي" و إنتهت بعقد صلح بينهما سنة(542هـ/1147م)،ولقد إمتد حكم هذه الأسرة المغولية على أقل تقدير الى عام (555هـ/1161م)،أين سقطت على يد التتار[2]

[1]- كيتشانوف،مرجع سابق،ص16. عباس العزاوي،مرجع سابق،ص86

[2]- ابن فضل الله العمري(ت749هـ)،**مسالك الابصار في ممالك الأمصار**،تح :كامل سليمان الجبوري،ج3،دار الكتب العلمية،العراق،دت،ص93.وانظر:الرمزي م.م،**تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**،ج1،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط1،2002،ص346.بارتولد ف فاسيلي، **تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي**،تر:صلاح الدين هاشم،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،ط1،1981،ص544.رغد عبد الكريم النجار،مرجع سابق،ص10-11. عباس العزاوي ،مرجع نفسه،ص77-79

الفصل الاول: تأسيس الامبراطورية المغولية والحروب على جبهة الصين

المبحث الأول: توحيد القبائل وقيام الدولة المغولية

أولا: أوضاع منغوليا في القرن (6هـ/12م)

ثانيا: قيام الدولة المغولية

المبحث الثاني: حروب المغول على جبهة الصين

أولا: غزو الصين في عهد جنكيز خان (602-624هـ/1206-1227م)

أ/مملكة التانغوت "شيا الغربية"

ب/مملكة كين "ملوك الذهب"

ثانيا: غزو الصين في عهد خلفاء جنكيز خان

أ/ في عهد أوكتاي قآان (627-638هـ/1229-1240م)

ب/في عهد منكو قآان (648-657هـ/1250-1259م)

المبحث الأول: توحيد القبائل وقيام الدولة المغولية(602هـ/1206م)

أولا: أوضاع منغوليا في القرن (6هـ/12م)

كانت الأحداث في منغوليا في النصف الثاني من القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، تشير الى صراعات بين قبائل البدو شمال سور الصين[1]، ولأسباب محلية تمثلت في النزاعات بين رؤساء القبائل على الزعامة، واخرى خارجية بتحريض من الحكومة الصينية، دخلت منغوليا في حالة من الفوضى والحروب بين قبائلها، ومن أبرز هذه القبائل التي شكلت الخارطة القبلية لمنغوليا وكان لها الحضور:

أ/التتار: كانت قبائل التتار تقطن المنطقة التي تُحد شمالا بنهري "أورخون" و"سلنجا" في الجنوب الغربي من بحيرة "بيكال" ،الذين تكرر ذكرهم في نقوش اورخون[2] ،وكانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية بحيث إستطاعوا من القوة ان يشكلوا خطرا على الحكومة الصينية، التي عملت على الدوام على اخضاعهم واثارة الفتن بينهم كلما اشتدو قوة، وكانوا في اغلب الاوقات خاضعين لملوكها[3]

واستطاع هؤلاء التتار ان يخضعوا أغلب القبائل، وكانوا يتمتعون بشهرة ذائعة وشوكة كبيرة، بحيث ان قبائل الأتراك الاخرى على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم، فاطلق عليهم إسم "تاتار" او "تتر"[4]

---

[1] –**سور الصين**،في حوالي عام 220ق.م قام احد أباطرة الصين المشهورين (تشين شيه هوانج–Chin Shih Huang) ببناء صور الصين العظيم، لسد غارات البرابرة، في الفترة مابين (218/204ق.م)، ذلك السور الذي لايزال جزءا كبيرا منه يطاول الزمان حتى يومنا هذا ،وكان طول السور عند الانتهاء من تشيده 1500ميلا ويعد بذلك أروع مشروع دفاعي في العصور القديمة، ويبدأ السور من الشمال الشرقي من بكين متجها شرقا حتى بلاد التركستان، وقد صخر الإمبراطور تشين نحو ربع مليون عامل لبنائه. انظر: فوزي درويش،**الشرق الأقصى الصين واليابان**،ص17

[2] – **نقوش أورخون** ،اقدم أثر بالسان التركي وقد إكتشفها وحل رموزها العالم الشهير تومسن في أواسط القرن التاسع عشر، ويرد في النقوش اسم"طوقور تاتار"و"أتوز تاتار" ويفهم من هذا ان التتار كانو قسمين،قسم يتكون من تسع قبائل وقسم يتكون من ثلاثين قبيلة.انظر: كتابجي زكرياء:**الترك في مؤلفات الجاحظ**، ص25.بارتولد:تاريخ الترك،ص50

[3] – الباز العريني،مرجع سابق،ص33. محمد علي البار،**كيف اسلم المغول**،دار الفتح ،عمان،الاردن،ط1،2008،ص49. محمود السيد ،**التتار والمغول**،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،2001،ص13

[4] – عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص26

أما أصولهم فيرى العديد من المؤرخين والباحثين التتار،أن قبائل التتار من أصول تركية وليست لهم علاقة بالغزاة المغول في القرن الثالث عشر[1]،وذهب الدكتور أسامة التركماني الى أبعد من ذلك مؤكدا أن التتار يمتون بالقرابة الوثيقة لقبائل القبجاق (الكيبشاك) التركية،الذين كانوا قد إنفصلوا عن التتار القدماء (الذين نشأوا في منغوليا القرن5م)، وفي القرن(9م) إرتحلوا منها الى غرب سيبيريا ثم الى جنوب روسيا في القرن (11م)، واستوطنوا السهوب الواقعة في جنوب روسيا وشمال القوقاز التي صارت تعرف فيما بعد "بدشت قبجاق" أي إقليم القبجاق[2]،ويدل هذا على ان التتار من جنس أتراك الشمال الذين كانت لهم لغة خاصة بهم، ولكنهم كانوا يعرفون اللسان التركي العام[3]،وإنما غلب إسمهم بعد ان دخلوا كعنصر في جيوش المغول وانصهروا معهم وكان النسل الجديد يضم كبار قواد المغول وزعمائهم[4]،لذا غلب إسم التتار على المغول في ما بعد

ب/الكرايت: أقامت قبائل الكرايت على حدود نهر "أرخون" في الوحات الشرقية الداخلة في صحراء "جوبي" جنوب بحيرة "بيكال" الى حدود سور الصين، ولا يعلم أصلهم على وجه الدقة،إلا ان الأرجح أنهم من المغول، إتصلوا بالأتراك وتأثروا بهم، خاصة بعد أن دانوا بالمسيحية النسطورية (400-402هـ/1007-1009م)[5]

ولقوتهم كانت الحكومة الصينية ترسلهم في حملات تأديبية للقبائل المتمردة كالتتار، ولقب زعيمهم "بأنك خان" او"أنج خان" الذي منحته اياه الحكومة الصينية نظير مساعدته لجيوشها،ولقبيلة الكرايت علاقات طيبة مع المغول في عهد "يوسكاي" والد "جنكيز خان" ،وشكلوا لزمن حلفا ضد القبائل الأخرى[6]

---

[1]- أبرار كريم الله ،**من هم التتار**،تر رشيدة رحيم صبروتي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993،ص80-83

[2]- أسامة التركماني،مرجع سابق ،ص193

[3]- زكرياء كتابجي، مرجع سابق،ص36. ولمزيد التفصيل حول قبائل الترك انظر: ابو العباس احمد القلقشندي (ت821هـ)، **قلائد الجمان في تعريف بقبائل عرب الزمان**،تح: إبراهيم الأبياري،دار الكتب المصرية ،القاهرة،ط2،1982،ص28. محمود بن الحسين الكاشغري ، **ديوان لغات الترك**،دار الخلافة العلية،1333هـ،ص30

[4]- عبد السلام فهمي، مرجع سابق،ص17

[5]- علي محمد الصلابي،**دولة المغول والتتار بين الإنتشار والإنكسار**،دار المعرفة ،بيروت،لبنان،ط1،2009،ص32. مصطفى بن حسين،مرجع سابق،ص41

[6]- سعد بن حذيفة الغامدي، مرجع سابق،ص61-64.بارتولد:تركستان،ص545

ج/النيمان: قطن النايمان الجزء الغربي من منغوليا، والنيمان من أصول تركية، غلب عليهم الطابع المغولي...الا أنهم وقعوا تحت التأثير الثقافي الإيغوري[1]، وهم يدينون بالمسيحية مثل الكرايت،وكان لهؤلاء النيمان ملوك مشهورون وأقوياء في قديم الزمان كان يطلق على ملوكهم"كوشلوك خان" أو"بيوروق خان" ومعنى كوشلوك ملك عظيم، أما بيوروق فمعناه معطي الامر[2]

د/المركيت: يطلق عليهم أيضا إسم "مكريت"، موطنهم جنوب بحيرة "بايكال"شمال بلاد الكرايت عل مجرى نهر "سلنجا"، يعد المركيت من جنس المغول،لهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحروب، عرف عنهم ميلهم الى الشغب وإثارة الفتن، ومع أنهم من جنس المغول إلا انهم قاموا بعدة حروب ضد "جنكيز خان"، الذي لم يتوانى في التصدي لهم والقضاء عليهم[3]

والمغول بقبائلها العديدة ،وليس في الوسع إحصاءها لكثرت نسلهم وتفرع بطونهم، حيث أنهم تشتتوا في الأقاليم الشرقية شمال الصين وعلى هضبة منغوليا ولعل من أشهرهم:

1-ايكراس2-آلقونت3-قارنوت4-قورلاس5-إيلجيكن6-أرلات7-باداي8-قيشلق9-اوشيان10-سولدوس11-ايلوركيت12-كيتكيتلر13-دوربان14-سوقوت15كورلوت16-بارقوت17-جويرات18-باباوات19-جلاير[4]

وبقوا على حالة من التشرذم والفرقة، "لاملك لهم وانما يقوم بكل فرقة منهم مدبرا لها من أنفسها"[5] حتى ظهرت شخصية "تيموجين" الذي استطاع أن يوحدها تحت إمرته ،وأسس على اثر ذلك الدولة المغولية الثانية، وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي إن شاء الله

[1]-كيتشانوف ،مرجع سابق،ص44-45

[2]- عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص30

[3]- محمد علي البار، مرجع سابق،ص51. الصياد عبد المعطي، مرجع نفسه،ص28

[4]-العزاي عباس، مرجع سابق،ص73-74

[5]- المدائني ابن أبي الحديد،حملات الغزو المغولي للشرق فصل من شرح نهج البلاغة،تر مختار جبلي،دار لارماتون، باريس،1995،ص24

ثانيا: قيام الدولة المغولية(602هـ/1206م)

في خضم الأحداث التي كانت تعيشها منغوليا من نزاعات وصراعات قبلية،ظهر ولأول مرة إسم "تيموجين" الفتى الذي إستطاع ان يقود كتيبة من الرعاة، وأنتصر مع حليفه "اونك خان" الشخصية الأولى بمنغوليا الشرقية زعيم قبيلة "الكرايت" على التتار والذي خصه بمنزلة كبيرة وتوج بموجبها "خاقانا"[1]

تذكر المصادر التاريخية مشجر نسب تيموجين الى السيدة "ألان قوا" التي ذكرنا حكايتها سابقا، وسلسلة نسبه كالتالي: تيموجين بن يوسكاي بهادرخان بن تريان بن قبلة خان بن تومنيه خان بن باي سنقر بن قيدو خان بن دوتومنن بن بغا بن بوزنجر بن ألان قوا خاتون[2] من قبيلة "قيان" المغولية.

ولسنا بصدد إعادة سرد الأحداث التي مر بها تيموجين، بقدر ما ننوه بأن الظروف والأوضاع الحياتية الصعبة التي عاشها في شبابه المبكر جعلت منه رجلا جلدا، وظف مجهوده ومقدرته فيما بعد من أجل إحياء إسم قبيلته المغول، التي لم يكن لها ذكر من قبله[3]

ولكن للوقوف على شخصيته من زاوية رؤية شعبه له، وكذا خططه وإستراتجياته الذكية في توحيد القبائل، أين تظهر عبقريته الحربية والسياسية.

وصفه القرماني وصفا جمع فيه شخصيته وذكائه وسياسته فقال"كان أميا لايقرأ ولا يكتب، أعجميا غجريا، لا يحسب ولا ينسب، لا طالع الأخبار ولا إقتفى الأثار، بل أسس بفكره قواعد لو أدركها الإسكندر ودارا لما وسعهما إلا إقتفائها، كسر بصدماته الأكاسرة، وقهر بسطواته القياصرة، وعسكره كانوا بين المسلمين والمشركين واليهود، ومن لا يدين بمعبود، فلم يتعرض لأحد في دينه وإعتقاده ويقينه، أما هو فلم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة"[4]

---

[1] – بارتولد ،مرجع سابق، ص545

[2] – ابو سليمان البناكتي (ت730هـ)، **روضة اولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب**،تر: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة ،القاهرة،ط1،2007،ص399. ابو العباس احمد القلقشندي (ت821هـ)، **صبح الاعشى في صناعة الانشا**،ج4،دار الكتب الخديوية، القاهرة،1914،ص305.العمري، مصدر سابق،ص93.الرمزي،مرجع سابق،ص347

[3] – محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)، **فوات الوفيات**، تح: احسان عباس،مج1،دار صادر،1973،ص301

[4] – احمد بن يوسف القرماني (ت1019هـ)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، تح: احمد حطيط، مج2،عالم الكتب ،بيروت،ط1،1992،ص489

فقد برهن على أنه صاحب أطماع وإرادة حديدية وعزم مكنته كلها تمام التمكين من أن يطوع طبيعة بني جلدته البدائية الخشنة الى أداة صالحة أمدته بتلك القوة التي إجتاح بها العالم الى ما وراء حدود مراعيه بكثير[1]

وقد كان جنكيز خان بالنسبة لشعبه أكثر من مجرد عسكري عبقري وقائد متميز، كان ناطقا بلسان السماء منفذا للإرادة الإلهية، لذا فإنه عندما وضع "الياسا"[2] وهو نظام قانوني أعلنه عندما تولى مقاليد السلطة العليا في العام(602هـ/1206م) منذ ذلك الوقت عومل من رعاياه على أنه ينحدر من أصل إلهي... ولقد وُضعت أنظمة "الياسا"كما يفترض لتستجيب الى حاجات إمبراطورية متوسعة، ومن أجل فرض قانون قبلي، وليس فقط من أجل تطبيق عادات قبلية، ومن أجل جمع عدة أمم تنضوي تحت راية المغول[3]

واستطاع جنكيز خان الإطاحة بحليف الامس "أونك خان" زعيم قبيلة الكرايت (599هـ/1202م) ثم أردف هزيمته بغلبته الخاطفة على قبائل أويرات وقنقرات والنيمان التركية التي كانت تنتشر عند الغرب من منازل المغول...بعد ذلك رسم المغولي المظفر سياسته على ان ألا يشرع في غزو جديد بعد فوزه هذا حتى يتم له إدماج القبائل التي أخضعها في قواته إخضاعا تاما وفق قواعد "الياسا" لتصبح أداة صالحة لتحقيق خططه المستقبلية، وكان تقدمه في ذلك بطيئا ولكنه كان ثابتا مكينا، فلم يأتي عام (602هـ/1206م) حتى كان قد نجح في إخضاع كل بدو صحراء "جوبي" على وجه التقريب، واتخذ من حصن "قراقورم"[4] حصنا له وأتصل حوالي ذلك الوقت بالإيغور ومن

---

[1]- أرمينوس فامبري، **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**،تر: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،دت،ص162

[2]**-"الياسا" او "الياساق"**،مجموعة القوانين العرفية والشرائع المغولية التي وضعها جنكيز خان لتنظيم دولته.للتفصيل حول بنود هذه القوانين انظر: العمري،مصدر سابق،ص96-99.القلقشندي،مصدر سابق،ص311-312.الجويني،مصدر سابق،ص66-73

[3]- ساوندرز ج.ج، **البدو وبناء الإمبراطوريات دراسة مقارنة للفتوحات العربية والمغولية**، تر محمد السماك ،دار الاجتهاد الابحاث والترجمة والنشر،مج4،العدد17،لبنان،1992،ص79

[4]**-"قراقورم"** مدينة في أقاصى بلاد الترك الشرقية، ومعنى قراقورم باللغة التركية الرمل الأسود،فقرا بمعنى الأسود،وقم بمعنى الرمل، وإتخذها "جنكيز خان" عاصمة لملكه.انظر: القلقشندي،مصدر سابق،ص481.ابو الفداء،مصدر سابق،ص504

شيعتهم الشرقية إستعار لقومه البدو عقيدة وأبجدية طوعت لغتهم للكتابة[1] و لعب الإيغور بعدها دورا حضاريا وسياسيا هاما في الإمبراطورية المغولية[2]

وقد أُعتبر توحيد القبائل وعدم تورعه عن إستخدام القوة والقسوة والعنف لضمان الخضوع له أحد أهم إنجازاته، ومع هذا فلم تكن قوته وحدها سببا كافيا للم شمل القبائل من حوله، فقد تطلعت تلك القبائل للثروة والسيطرة اللتين ستحققان لهم وحدتهم تحت رايته البيضاء، وهكذا فإن ولائهم سيستمر طالما ظل عطائه مستمرا، وبهذا تصبح المعادلة الصعبة "لجنكيز خان" تأمين الغنائم والسلطة والجاه دون إنقطاع لتلك القبائل حتى لايخسر سلطته، وقد نجح في ما فشل فيه غيره من قبله، وحوّل مجتمعا بدويا منغلقا الى إمبراطورية عالمية[3]

ومن أجل أن يعطي لنفسه الشرعية الكاملة لسلطته على تلك الشعوب أمر تيموجين "جنكيز خان" بعقد مؤتمر يضم رؤساء القبائل التابعة له أطلق عليه بالمغولية "قوريلتاي"[4] تضمن الإجتماع التأكيد على زعامته وأطلق عليه لقب "جنكيز خان" لأول مرة وهو في الثانية والأربعين من عمره[5] وبذلك أسس "جنكيز خان" الإمبراطورية المغولية.

---

[1]- فامبري ،مرجع سابق،ص163

[2]- للتفصيل في دور الإيغور في الإمبراطورية المغولية انظر: سعاد الطائي،**الإيغور دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة**،دار ومكتبة عدنان ،بغداد،العراق،ط2،2016،ص219 ومابعدها.بارتولد،مرجع سابق،ص553-554

[3]- جورج لاين، **عصر المغول**،تر: تغريد الغضبان،هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة ،ابو ظبي، الامارات،ط1،2012،ص35

[4]-**"القورلتاي"** في الاصطلاح المغولي عبارة عن مجلس عظيم حافل يضم جميع الامراء واركان الدولة وينعقد عند تنصيب احد اعضاء الاسرة المالكة امبراطورا اعظم على جميع المغول انظر:الهمذاني ،مصدر سابق ،ص234

[5]-ستانلي لين بول،**تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الاسلام**،تر: مكي طاهر،الدار العربية للموسوعات ،بيروت،لبنان،ط1،2006،ص225. عبد العزيز جنكيز خان،**تركستان قلب آسيا**،الجمعية الخيرية التركستانية،دت،ص75.محمد فتحي الشاعر، **مصر قاهرة المغول في عين جالوت**،دار المعارف،1995،ص25

المبحث الثاني: حروب المغول على جبهة الصين

لم تقتصر جهود جنكيز خان على توحيد القبائل المغولية، بل كانت خطوة التوحيد نقطة إنطلاق لبناء إمبراطورية تشمل معظم أنحاء العالم المعروف أنذاك وكان عليه لتحقيق مشروعه الطموح أن يتحرك في جميع الإتجاهات، وأن يواجه خصوما متعددي الجنسيات والثقافات[1] فحشد معظم جيوشه وتحرك وفق خططه على جبهة الصين وقاد العمليات العسكرية بنفسه.

في هذه الأثناء التي تحرك فيها جنكيز خان نحو الجنوب كانت الصين مقسمة على أكثر من إمبراطور كما سبق وذكرنا، فقد كانت مملكة "كين" تسيطر على الصين الشمالية، وكان ملكها يحكم من مقرها في العاصمة "زونغدو" التي إسمها الأن "بجين" أكثر من خمسين مليون نسمة، أما الصين الجنوبية فقد كانت تسيطر عليها سلالة "سونغ" الجنوبية الحاكمة...إتخذت من مدينة "لينان""هانغ تشو" مقرا لها حيث يخضع أكثر من ستين مليون نسمة لحكم إبن السماء الصيني، وكان تحت تصرف كل من الإمبراطورين جيوش تفوق بكثير أعداد جيوش جنكيزخان، ناهيك عن الخنادق المائية والأسوار التي تحمي المدن الكبرى، بالإضافة الى التحصينات الهائلة الأخرى و الأسلحة المتطورة[2]

وعلى الحدود الشمالية الغربية كان هناك إتحاد قبلي آسيوي أخر من شعوب التانغوت الذين أسسوا سلالة "تسي تسيا"، أما قبائل التبت فكانت تشغل إقليم تورفان (إقليم شنغهاي اليوم[3]) على الحدود الغربية، في حين كانت مملكة "تالي" المستقلة تقع على الحدود الجنوبية الغربية في (الإقليم الذي يعرف اليوم بإسم يونان[4])[5]وعمدت هذه الامم الى الإغارة على بعضها البعض من اجل التوسع والنهب والسلب، وتخللت بعض فترات تاريخها السلم والمهادنة والصلح.

---

[1]- احمد حطيط ، **حروب المغول**،دار الفكر اللبناني،بيروت،1994،ص20

[2]-ايمي شوا، **عصر الامبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على العالم واسباب سقوطها**، تر: منذر محمود صالح محمد، دار العبيكان للنشر ،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط1،2011،ص157

[3]- يقع اقليم "**شنغهاي**" في المجرى الأعلى لنهر الينغسي والنهر الأصفر،في الجزء الشمالي الشرقي من هضبة تشينغهاي-التبت في القسم الجنوبي من شمال غرب الصين،وقد حملت إسمها من بحيرتها المالحة الكبيرة،وتعيش في هذه المنطقة مجموعة من القوميات المختلفة.انظر:شوي قوانغ،**جغرافيا الصين**،ص173

[4]-تقع **يونان** "جنوب الجبال" على الحدود الجنوبية من جنوب غرب الصين،وحملت إسمها من موقعها جنوب جبال يونلينغ،وهي أيضا مقاطعة متعددة القوميات،شوي قوانغ،مرجع نفسه،ص161

[5]- سلالة سونغ ، الموسوعة العربية ،https://www.arab-ency.com 15:36 /2018-02-19

أولا: غزو الصين في عهد جنكيز خان (602-624هـ/1206-1227م)

أ/مملكة التانغوت "شيا الغربية"

قامت هذه الدولة في الفترة من(1083/1227م) في المناطق التي تشغلها حاليا المقاطعات الصينية الشمالية الغربية "ننغشيا"[1]،و "قانسو"[2]، و"شنغهاي" الشرقية، و"شنشي"[3] الشمالية، وشمال شرقي "شنجيانغ"، وجنوب غرب منغوليا الداخلية، وأقصى جنوب منغوليا الخارجية[4]

وشيا الغربية هي الترجمة الحرفية للإسم الصيني للدولة "شي شيا"، أما تانغوت تأتي من الإسم المنغولي تانغهوت "تاود"، ويعتقد أنها تعكس نفس كلمة "دانغكسيانغ" أو "دانغ شيانغ" الموجودة في الأدب الصيني[5]

وكانت قومية "دانغ شيانغ" كبدو رحالة في المنطقة الشمالية الغربية، نهضت في أوائل سلالة "سونغ" الشمالية ودخلت في صراعات معها، ويعود تأسيس شيا الغربية إلى عام (982م) بقيادة "لي ديمنغ". إلا أن قائد التانغوت "لي يوانهاو"، وهو إبن "لي ديمنغ" الذي أمر بوضع نظام لكتابة لغة التانغوت وأمر بترجمة الأعمال الصينية الكلاسيكية إلى لغة التانغوت لم يُعلن نفسه إمبراطورًا "لدا شيا" إلا في عام (1083م) وطلب من إمبراطور "سونغ" الإعتراف به ندًا له. وقد قبل بلاط "سونغ" الإعتراف ب"لي يوانهاو" حاكمًا وليس إمبراطورًا، وهو اللقب الذي كانوا يعتبرونه حكرًا على إمبراطور "سونغ". وبعد اتصالات دبلوماسية مكثفة، قبلت دولة تانغوت الإعتراف بإمبراطور "سونغ" نظير تبادل الهدايا سنويًا، وهو ما يعني اعترافًا ضمنيًا من جانب "سونغ" بقوة التانغوت العسكرية.واتخذ من مدينة "شينغ تشينغ"(حاليا "ين تشوان" من مقاطعة "ننغشيا") عاصمة له[6]

---

[1]-تقع **"ننغشيا"** في المجرى الأوسط للنهر الأصفر بشمال غرب الصين،ويعيش فيها أهل قومية هوي المسلمة،في تجمعات متلاصقة منذ أزمان طويلة،وقد تأسست فيها منطقة الحكم الذاتي سنة 1958.شوي قوانغ،مرجع سابق،ص175

[2]-تقع **"قانسو"** هي الأخرى في المجرى الأعلى للنهر الأصفر في شمال غرب الصين،وقد جاء إسمها من الكلمة الأولى لإسمي مدينتين قديمتين قانتشو"تشانغيه الحالية"وسوتشو"جيوتشيوان الحالية"،ومن ضمن القوميات التي تعيش فيها قومية دونغشيانغ التي أقامت دولة التانغوت.شوي قوانغ،مرجع نفسه،ص170

[3]-تقع **"شنشي"** في الجزء الشرقي لشمال الصين الغربي،وهي من مهود الأمة الصينية،إذ إتخذت 13أسرة ملكية عاصمتها هناك،ويعيش أغلب أهالي "شنشي" في السهول والأرياف.شوي قوانغ،مرجع نفسه،ص167

[4]- يلماز ازتونا،مرجع سابق،ص196. https://wikivisually.com/ 2018-02-20/17:36

[5]- 2018-02-20/21:58/http://self.gutenberg.org/articles/eng/Tangut_Empire

[6]- سون يان جينغ، مرجع سابق،ص94. 2018-02-2114:43/http://www.like2do.com/learn?s=Xi_Xia

ترجع علاقة التانغوت بالمغول إلى الصلات الوثيقة التي تجمع التانغوتيين ب"طغرل" خان الكريتيين حليف "جنكيز خان" القديم وعدوه، إذ وقع شقيق "طغرل" "جاخا" في الأسر فرباه التانغوتيين عندما كان صبي،وفي وقت لاحق جعلوا منه محاربا عظيما، وعندما هرب إبن "طغرل" "نيلكا" فعل الأمر نفسه عبر الأراضي التانغوتية، مقدما ذريعة لغارات المغول الأولى في عام(602هـ/1205م)[1]

من المحتمل أن يكون جنكيز خان عند رجوعه من "ألتاي" بعد إنتصاره على النايمان (602هـ/1205م) قد قرر مراجعة متانة الحدود مع جاره، أي حدود دولة التانغوت، فأمر جيوشه بإقتحام مناطقها الغربية، يروي رشيد الدين هذه الحملة" أمر جنكيزخان بتنظيم جيشه، وتحركت الحملة صوب ناحية "كاشين" المسماة تانغوت، وعندما بلغوا هذه الناحية وصلوا في البداية إلى قلعة تسمى "ليغيلي"، وهذه المنطقة محصنة جدا فحاصروها و بزمن بسيط احتلوها وحطموا كل شيئ،حتى الحائط والأساس، تحركوا منها الى مدينة تسمى "كلين لو شي" وهي أكبر مدينة، فاحتلوها ونهبوها ثم بعد ذلك احتلوا بعض نواحي تانغوت ونهبوا أيضا وسرقوا كل الماشية التي عثروا عليها في تلك المناطق، ثم بعد ذلك عادوا الى ديارهم بغنائم كثيرة العدد وبعدد لا يحصى من الجمال والابقار"[2]

إلا انه لم يكن هناك أي هدف إستعماري وراء هذه الحملة، إذ كان جنكيز خان الذي إشتغل في حملة عسكرية ليقهر عدوه القديم المركتيين- لم يشارك بنفسه في الحملة ضد التانغوت- بحاجة إلى كسب عظيم لقواته مع مدفوعات طويلة الأمد-جزية- إن أمكن ذلك، فكانت "شي- شيا" هي المصدر الواضح لهذا الكسب، الأمر الذي كان يعني تحويل "شي شيا" الى دولة تابعة تدفع الجزية في أسرع وقت ممكن قبل أن يتدخل "الجين" في النزاع، ولم يكن هناك أي نية للإحتلال[3]

يمكن القول مع التأكيد أن نهب "شيي- شيا" يعد إنتقاما من التانغوت،لعدم تسليمهم إبن "طغرل"،ويمكن إعتبار هذه الحملة تجربة السلاح المغولي ضد سكان الحضر والمدن و القلاع[4] فجيوش

---

[1]- جون مان، **جنكيز خان الحياة والموت والانبعاث**، تر: حسن عبد العزيز عويضة، دار الكتب الوطنية ،ابو ظبي،الامارات العربية المتحدة،ط1،2013،ص141

[2]-كيتشانوف، مرجع سابق،ص228

[3]- جون مان ،مرجع نفسه،ص141

[4]-كيتشانوف، مرجع نفسه،ص228

المغول معتادة على خوض حروبها ومعاركها التقليدية مع القبائل البدوية المماثلة لها في القوة والخطط، لذا يمكن إعتبار الحملة على التانغوت تمرين جديد لقوات المغول.

وبعد مرور عام ونصف فقط على إنعقاد المؤتمر العظيم "كوريلتاي" في عام (604هـ/1207م) إنقض المغول من جديد على حدود دولة التانغوت، وهذه المرة في الأقاليم الوسطى، وتمركزوا في جبال "ألاشان"،قرب قلعة فالاخاي "أويراك" طوال الصيف عام 605هـ/1208م...وفي هذه المرة شارك جنكيز خان في الحملة بنفسه ولم يتم الإستيلاء التام على أراضي التانغوت[1]

يقول المؤرخ كيتشانوف "إن التانغوت طوقوا الإقليم الذي إستولى عليه المغول ولكنهم لم يهجموا عليهم، لأنهم من المحتمل لم يقرروا أو لم يستطيعوا، ومن جديد تركوهم يخرجون بغنائمهم الى السهوب المغولية"

في عام (606هـ/1209م) دخلت الجيوش المغولية بقيادة جنكيز خان بنفسه وللمرة الثالثة دولة "شي- شيا"، وأرسل التانغوت جيشا كبيرا بقيادة وريث العرش لمقابلته، وفي معركة حاسمة إنتصر فيها المغول، وإستعاد جكيز خان من جديد قلعة "فالرخاي"، ومنها واصل المغول هجومهم على "تشجونسي" عاصمة دولة "شي- شيا" ، وفي أحد المعابر الجبلية في جبال "خيلاتشان" "آلاشان" عند مخفر أمين-حصن- تربص لهم جيش تانغوتي قوامه خمسون ألف، وفي هذه المرة هجم التانغوت على المغول بشجاعة وألحقوا بهم الهزيمة[2]

لكن لم يواصل التانغوت إنتصارهم إذ أن المغول أدخلوهم في حالة حصار، لأن إقتحام هذا الموقع أمرا مستحيلا، فكان أمل جنكيز خان أن يقع التانغوت في شرك النزول الى السهل،وبعد وقوف دام لشهرين، إستخدم المغول تكتيكاتهم المعتادة في مثل هذه الظروف، متظاهرين بالتقهقر، لكنهم في الحقيقة وقفوا في التلال،مخلفين وحدة عسكرية صغيرة لتكون بمنزلة شرك وعندما هاجم التانغوتيين كما هو متوقع إنقض المغول عليهم وحققوا إنتصارا مذهلا وأصبحت الطريق الى العاصمة مفتوحة أمامهم[3]

[1]- كيتشانوف،مرجع سابق،ص229

[2]- نفسه،ص234

[3]-جون مان، مرجع سابق،ص145

واختلفت الأراء حول حادثة غرق معسكر المغول أثناء حصارهم للعاصمة التانغوتية، التي كانت على درجة عالية من التحصين والحماية تظهر مدى تطور أنظمة الحماية التحصينية التي كانت تتمتع بها دولة "شي- شيا"، حيث تمر بها قنوات المياه المتفرعة من النهر الاصفر[1]

فيرى جون مان ،وإيمي شوا، أن المغول وبعد الحصار لجأو الى وسيلة من أجل إختراق المدينة،فاستخدموا قنوات المياه في محاولة لإغراق المدينة،فحطموا السدود وحاولوا غمرها بالماء، لكن هذه الفكرة لم تكن بالشئ الجيد،ولأن المغول لم يكونوا يتمتعون بمهارات هندسية قاموا بإغراق معسكرهم[2]

في حين يقول المؤرخ كيتشانوف أن معسكر المغول تعرض لفيضان السد الذي شيده الأسرى،نتيجة تهاطل الأمطار،وفيضان النهر أدى الى إنفتاح السد فغمر الماء معسكر المغول[3]

وعلى كل فإن الطرفان وقعا في مأزق وللخروج منه إتفقا على الصلح،بموجب دخول التانغوت في حلف مع المغول،وخاصة ضد "الجين" الذين رفضوا مساعدة التانغوت في حروبهم مع المغول، ووافق التانغوت عل الخضوع لجنكيز خان، وقام إمبراطورهم بتزويج إبنته الأميرة "شاكا" للخان المغولي مع دفع فدية من الجمال والجوخ والصقور[4]

إلا أن مملكة التانغوت لم تخضع تماما لحكم المغول لغاية خريف عام (623هـ/1226م) عندما قاد جنكيز خان أخر حملاته،وذلك انه عاد من غزواته الغربية،وكان السبب الرئيسي لعودته ان رسلا اتته من طمغاج(كتاي او منشوريا)وتنكت واخبروه ان اهالي الصين وطمغاج وتنكت،قد شقوا عصى الطاعة،واصبحت البلاد في حالة من التمرد والثورة، وفي ربيع العام التالي(624هـ/1227م) حاصر العاصمة "ننج-هسيا" مدة طويلة،الى أن سقطت المدينة فدخلها المغول،وقتلوا أهلها وخربوها[5]

---

[1]-**النهر الأصفر** ثاني أطول نهر في الصين،ويعتبر حوض النهر الأصفر موطن الحضارة الصينية العريقة ومهد الأمة الصينية،به كثافة سكانية شديدة ،وزراعة عالية التطور،ووفرة هامة من المعادن،وتقع على ضفتيه أهم المدن الشمالية الغربية التي أشرنا لبعضها سابقا.شوي قوانغ،مرجع سابق،ص71

[2]- جون مان، مرجع سابق،ص144.ايمي شوا،مرجع سابق،ص158

[3]-كيتشانوف،مرجع سابق،ص239

[4]- جون مان،مرجع نفسه،ص144.كيتشانوف،مرجع نفسه،ص240

[5]- احمد حطيط،مرجع سابق،ص44.سعد بن حذيفة الغامدي،مرجع سابق،ص136.البناكتي،مصدر سابق،ص409

-وبناءا على ما سبق وعلى ضوء المراجع أن نستخلص بعض النتائج التي حققها المغول على إثر الحملات عل دولة التانغوت:

1-بحكم أن التانغوت كانوا على درجة كبيرة من الثراء إغتنم المغول منهم ما مكنهم من تسير شؤون الدولة الناشئة،وكان ذلك بأقل تكلفة لضعف القوات العسكرية للتانغوت بالرغم من إمتلاكهم للأدوات العسكرية المتطورة،إضافة للتحصينات الهائلة والمنيعة،في مقابل قوات المغول

2-إكتسبت القوات المغولية أساليب جديدة وخبرة عسكرية في حروب الحصار ومواجهة التحصينات والمحميات القوية،وكذلك يمكن القول أن الحملات كانت تمارين تدريبية للعسكر المغولي،إضافة الى إنضمام خبراء عسكريين للجيش المغولي

3-من الجانب العسكري أيضا تقع أراضي التانغوت في موقع إستراتيجي هام،بالنسبة للمغول يمكن القول أنهم وضعوا قاعدة ومطئ قدم مكنهم من تأمين الجهة الغربية للصين،وتم لهم بذلك محاصرة "الكين" من جهة الغرب،وضمنوا أيضا بتحالفهم مع التانغوت عدم قيام تحالف بين التانغوت و"الكين"

4-أما في الجانب الإقتصادي فإن التانغوت كانوا يسيطرون على أهم ممرات الطريق التجاري الذي يربط بين الشرق الأقصى والغرب،لذا كان جهد المغول إفتتاح هذا الطريق، وأستطاعوا عقب الحملات على التانغوت،السيطرة على الممرات الإستراتيجية كممر "كانسوا" الذي يعتبر مدخل الى الصين، وهذا كانت بداية تحقيق المشروع الكبير السيطرة على طريق الحرير.[1]

[1]-نعمان محمود جبران، **محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير**،مجلة دراسات تاريخية،العددان39،40،كانون الاول،1991،ص142.عباس إقبال، **تاريخ إيران بعد الإسلام**، تر: محمد علاء الدين منصور،دار الثقافة،القاهرة،1989،ص380

ب/مملكة كين "ملوك الذهب"

بعد النجاح الذي حققته قوات المغول في بسط سيطرتها على أهم المنافذ التي تؤدي الى دخول الصين،وتأمين أنفسهم، إتجهت أنظار جنكيز خان لبداية الغزو على إمبراطورية "كين" أو ملوك الذهب "آلتن خان" العدو التقليدي الواقعة أراضيه خلف سور الصين العظيم، العقبة الكبرى التي ستواجهها عبقرية جنكيز خان وقواته

لذلك توجهت أنظار جنكيز خان الى التحالف مع قبائل الأنغوت المقيمة شمال سور الصين (في منغوليا الداخلية الحالية) ،ونجح في إقامة حلف مع ملكها،بعد أن وافق على تزويج إحدى بناته للملك الأنغوتي الذي كان يعتبر، نظرا لموقع مملكته الإستراتيجي، والمعاهدات بينه وبين ملك "كين"، حارسا للحدود الصينية،ومراقبا أمينا فيما وراء السور العظيم،ولهذا فعندما حالف جنكيز خان مملكة الأنغوت،بدا وكأنه فكك وسائل دفاع مملكة "كين"[1]

في المقابل كانت مملكة الكين تعرف تحولا سياسيا، بموت الإمبراطور وتولي ابنه "واي وانج" ابن السماء، من بعده عرش "الكين"،وكان ماجنا لاهيا ومغرورا، فأرسل رسله الى من تحت يده يجمعون له الضرائب ولم يستثن منهم جنكيز خان إذ كان يراه من هؤلاء البدو الذين يعيشون خلف السور العظيم[2]

عندما وصلت بعثة "الكين" الى قصر جنكيز خان للإعلان عن إمبراطور جديد "للكين" ولطلب إجلال شعائري، قيل أن جنكيز بصق بازدراء قائلا" كنت أعتقد أن حاكم المملكة الوسطى لابد أن يأتي من السماء، هل يمكن أن يكون شخصا بمثل هذا الضعف مثل الأمير "وي" لماذا يتوجب عليا الخضوع له" ولقد كان لجنكيز أسبابه الوجيهة للإزدراء فإمبراطور "الكين" الجديد كان يحكم دولة متزعزعة[3] وهذا يعني أن جنكيز خان قد أعلن الحرب على مملكة "كين"

وفي هذه الأثناء أرسل جنكيز خان الى رجال "لياوؤ" في الناحية الشمالية من"كيتاي"-جنوب إقليم منشوريا، وهؤلاء من بقايا سلالة "لياوؤ" التي أسقطها "الكين" وكانت هذه فرصة للأخذ بالثأر

[1]-احمد حطيط،مرجع سابق،ص22

[2]-ثروت عكاشة، **إعصار من الشرق جنكيز خان**،دار الشروق ،القاهرة،ط5،1992،ص112

[3]-جون مان،جنكيز خان،ص147

والإنتقام من "الكين" –قابل الوفد أمير سلالة "لياوؤ" وعقد حلفا بين الفريقين...ولقاء ذلك سيعيد خان المغول جميع ممتلكاتهم...ونصب أخيرا أمراء "لياوؤ" حكاما على "كيتاي" تحت رعايته[1]

كما يحدثنا الجوزجاني أيضا عن إرسال جنكيز خان رجلا مسلما كان من أتباعه إسمه "جعفر" الى آلتون خان الذي قام بسجنه ولكنه تمكن من الهرب، وعاد بمعلومات مهمة عن دولة "الكين" وبمعلومات عن طرقها وأراضيها،[2] ولعله من ضمن بعثات الجوسسة التي كان يبعث بها جنكيز خان الى داخل أراضي "الكين" وقد كانت العيون التي تمده بالأخبار، متنوعة من تجار ورسل وجنود[3]،وهوما يمكن تسميته بنظام الإستخبارات المغولي في بدايات تشكله

وفي العام (607هـ/1211م) جمع جنكيز خان جيشا عظيما في منغوليا الشرقية على ضفاف نهر كرولين إستعدادا للهجوم عل "الكين" وتقدموا عبر صحراء "غوبي" وانتشروا بشكل جيد،وقد كانت عملية عسكرية ضخمة بكل المقاييس،تخيل مايقارب من مئة ألف من المحاربين بثلاثمئة ألف من الخيول–يجب التعامل بحذر مع الارقام– تحركوا في ربما من عشر الى عشرين مجموعة بلغ قوام كل مجموعة منها من خمسة ألاف الى عشرة ألاف[4]

تتقدمه فرقة مؤلفة من ثلاثين ألف محارب على جياد قوية، بإمرة ثلاثة من عمداء الخان وهم "مخولي"[5] و"سوبتاي"[6] و"جبه نويان"[7]،واجتاز هذا الجيش البادية وإقترب من السور العظيم دون أي

---

[1]– هارولد لامب، **جنكيز خان امبراطور الناس كلهم**،ص65

[2]– منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت بعد658هـ)،**طبقات ناصري**،تر: ملكه علي التركي،ج2،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،ط1،2012،ص120

[3]– ثروت عكاشة،مرجع سابق،ص115

[4]– احمد حطيط،مرجع سابق،ص23.جون مان،مرجع سابق،ص148

[5]–**مخلولي** او **مقولي** قائد مغولي محنك،كان اكبر قادة جنكيز خان سنا وتجربة،شارك في فتوحات شمالي الصين،وقدعهد اليه جنكيز بادارتها كنائب عنه،حيث قاد العمليات العسكرية من (1217الى1222م) توفي وهو ابن 54سنة.انظر:اسامة التركماني،مرجع سابق،ص135

[6]–**سوبتاي** من اعظم واشجع وامضى فاتحي العالم،عبقرية فذة،وكانت له القيادة الفعلية في فتوحات اوربا الشهيرة،وايران والقوقاز وغيرها...وكان على يديه فتح كثير من اقالم الصين.اسامة التركماني،مرجع نفسه،ص135

[7]–**جبه**،كان يلقب بالسهم لسرعته مضائه في الحرب،وكان ندا مكافا لسبوتاي،الا انه اشد قسوة وفتكا،مات وهو في سن الشباب قبيل موت جنكيز خان،في رحلة غزواته الاستطلاعية المظفرة في روسيا والقوقاز.اسامة التركماني، مرجع نفسه،ص135

صعوبات، وفتح له المنحازون إليه أحد أبواب السور وبعد أن إجتازت فرق المغول السور،تفرقت وتوغلت في مختلف أنحاء "شان-سي" و"شيه-لي"[1]

وكان "آلتن خان" لما وصل الى مسامعه تقدم المغول،قد أرسل ثلاثمئة ألف فارس لحراسة الطريق[2]،تحشدت لسد طرق الحدود فأغارت عليها قوات المغول وهم على صهوات جيادهم المسرعة،فشتتوهم وفر قائدهم نحو العاصمة، أما جنكيز خان فوصل "تاي تونغ-فوو" أول المدن وحطم بذلك أول مقاومة مسلحة للكتائيين واستولى على عدد من المدن،إلا أن تقدمه توقف للمرة الأولى أمام خط الأسوار المرتفعة الهائلة،وأمام التلال والجسور، وأمام قلاع متسلسلة متكتلة شامخة، يقول هارولد لامب"يظهر لنا أنه أدرك الخيبة في محاصرة هذه العوائق بمثل قوته الصغيرة إذ نراه قد انسحب عنها من توه وعند الخريف أشار الى ألويته بالرجوع الى "غوبي"[3]

قضى جنكيز خان شتاء عام (1212/1211م) في منغوليا خارج دولة "كين" ولكن بالغرب من حدودها الشمالية[4]وفي ربيع عام (608هـ/1212م) سنحت لجنكيز خان فرصة،عندما ثار أحد أمراء الكتاي الخاضعين لسيادة "كين"، وأعلن تأييده للفاتح المغولي،فأسرع هذا الأخير الى دعم الأمير الثائر،وأرسل أحد أعوانه "جبي" الى إقليم "لياوؤ-يانج" جنوب منشوريا لكن القوة المغولية إنهزمت أمام أسوار مدينة[5]"موكدين" (شنيانغ اليوم) وأثبتت هذه المدينة-المدينة الثانية بعد بكين إذ أنها موطن "الكين" الأصلي-إنها منيعة إذ ما شن هجوم مباشر لذا قام "جبي" بما قام به المغول في كثير من الأحيان، تظاهر بالفرار تاركا الأمتعة تتناثر كما لو كان في حالة من الذعر،وعندما أكد كشافة "الكين" أن المغول إبتعدوا،شرع المواطنون المبتهجون في الإحتفالات...وذلك بجمع كسبهم السهل غير المتوقع،الأمر الذي أغراهم أكثر من أي وقت مضى للخروج من المدينة،فانطلق المغول بعد رحلة لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة، ووجدوا المدينة مفتوحة والسكان يحتفلون،فكان وقع المفاجأة كاملا[6]،ونهبت المدينة وعاد الجيش لينضم الى جيوش جنكيز خان

[1]-هارولد لامب،مرجع سابق،ص66-67

[2]-الجوزجاني ،مصدر سابق،ص119

[3]-هارولد لامب،مرجع سابق،ص68

[4]-كيتشانوف،مرجع سابق،ص260

[5]- احمد حطيط،مرجع سابق،ص24

[6]-جون مان،مرجع سابق،ص 149

هذه الإنتصارات شجعت جنكيز خان على المضي قدما الى الأمام لإتمام الغزو والفتح في هذه البلاد المترامية الأطراف،ففي سنة (610هـ/1213م) تحركت ثلاثة جيوش جرارة،كان على رأس الجيش الرئيسي منها جنكيز خان نفسه وكان معه أصغر أبنائه "تولي"، وقاد أبنائه الثلاثة الأخرين "جوجي" و"جغتاي" و"أوكتاي"[1] الجيش الثاني ليشكلوا الجناح الأيمن لجيش أبيهم ثم سارت هذه الحملة متجهة نحو الجنوب،أما الجيش الثالث فقد تحرك بقيادة إخوته الى الشرق في إتجاه المحيط[2]

لقد بدأ عام (610هـ/1213م) بأكبر هجمة مغولية وهزيمة لجيوش "الكين"،وفي هذا العام تم إخضاع كل المناطق الواقعة الى الشمال من "بكين" –زنغدوا–والأقاليم الممتدة من نهر "خوانخا" تدريجيا وتم حصار مدينة "بكين" –زنغدوا– وجزء من المدن الكبرى،كما اجتيحت كل الأقاليم إجتياحا شاملا، وتكبد سكان مجموعة من الأقاليم خسارة فادحة، بينما تم القضاء على مدن بأكملها،"وجمعوا الذهب والمنسوجات الحريرية، والبنون والبنات، والخيل والثيران، وأخذوا مثل الحصير، خرقت الأكواخ والمنازل وتحولت أسوار المدن الى حطام" هكذا وصفت التحركات الحربية المغولية في شمال الصين عام(610هـ/1213م)[3]

لكن مدينة بكين –زنغدوا–مازالت صامدة وذلك لأنها قبل قرن من الزمان كانت قد حولت الى معضلة صعبة فخارج أسوارها كان هناك أربع قرى محصنة...وكان يحمي الأسوار نفسها ثلاثة خنادق مائية، وكانت هذه الخنادق أعمال هندسية ضخمة تمتد الى أكثر من 1500كلم،تم إكمال العمل فيها عام 1198م،كان مثل هذه المنشآت الهندسية وغيرها من الأعمال السائدة في ذلك العصر، والتي تطلب من المغول أن يتخطوها[4]

جدير بالذكر أن المغول كانوا بعد كل معركة يتفحصون أسراهم بدقة وعناية،ويفيدون من أي مهندس يكتشفونه بين الأسرى، وكانوا أيضا يقدمون مكافآت مجزية لأي مهندس يترك جماعته وينضم اليهم،واستطاع جنكيز خان من خلال هذه الوسائل إستقطاب أعداد كبيرة من خلال هذه

[1]–كان لجنكيز خان تسعة اولاد،منهم اربعة من زوجته المفضلة "يسوجين بيكي" او "بورته" هم "جوجي" "جغتاي" "اكتاي" "وتولي" وكان جنكيزخان يعهد اليهم بجلائل الاعمال،كما كان يعتمد عليهم في ادارة امبراطوريته .عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص163.الجويني،مصدر سابق،ص78

[2]–عبد المعطي الصياد،مرجع نفسه،ص52.الباز العريني،مرجع سابق،ص65

[3]– كيتشانوف،مرجع سابق،ص262

[4]– جون مان،مرجع سابق،ص151.كيتشانوف،مرجع نفسه،ص254

الوسائل من المهندسين الصينيين، الذين كانت لديهم المعرفة والخبرة الضروريتان لتصميم وبناء ألات قوية تستخدم في محاصرة تحصينات العدو...وأصبحت هذه الألات والأسلحة جزءا من ترسانة الجيش المغولي،وقد تم ضم المهندسين الصينيين الذين قاموا بتصميمها،لذا ومع كل نصر جديد،كانت ألة الحرب المغولية تصبح أكثر تطورا وأكثر قدرة على الإبادة[1]

لقد دام حصار بكين "زنغدوا" لما يقارب عام الى ربيع(611هـ/1214م) ،وكان شتاءا قاسيا للمغول،تعبت خلاله جيوشهم، وهزلت خيولهم وضعفت،طالب قادة جنكيز خان باقتحام المدينة،ولكنه رفض طلبهم واتفق مع إمبراطور "الكين" على عقد هدنة يتم بموجبها إنسحاب الجيش المغولي،واعتراف "الكين" بسلطة جنكيز خان والتسايم له بالحكم،وقدم "الكين" مقابل ذلك هدايا، عبارة عن كميات كبيرة من الذهب والفضة والحرير،بالإضافة الى ألاف من رؤوس الخيل،مع ألف من الصبيان والفتيات،كما زوجوه من أميرة صارت الزوجة الرابعة للخان المغولي لقبت ب"غونتشو خاتون"[2]

رجع جنكيز خان في ذلك الخريف الى "غوبي" وعند مدخل الصحراء، ذبح جموع الأسرى الذين إستصحبهم جيشه،وهذه قسوة تقشعر لها الأبدان،ويظهر لنا أن المغول إعتادوا قتل الأسرى جميعهم عندما يولون وجوههم شطر بلادهم بعد كل معركة،ولهذا لايشاهد الرقيق إلا القليل في ذلك العهد في بلاد المغول[3]

وما إن إجتاز القائد المغولي سور الصين في طريق عودته الى منغوليا،من ممر "تشو يونج-كوان" حتى عدل الإمبرراطور عن فكرة الصلح،وشرع في تحصين قلاعه وحصونه ونقل عاصمة ملكه الى مدينة "كاي-فونغ" في جنوبي البلاد،لتكون أقرب لساحة القتال تاركا "بكين -زنغدوا-"في عهدة ولده،فما كان من جنكيز خان إلا أن إستدار بجيوشه وعاد مسرعا الى الصين،واشتبك مع الجيش الصيني في معركة فاصلة سقطت على إثرها بكين في أيدي المغول عام (612هـ/1215م)[4]

---

[1]-ايمي شوا،مرجع سابق،ص160

[2]- هارولد لامب،مرجع سابق،ص72.جون مان،مرجع سابق،ص153.كيتشانوف،مرجع سابق،ص263

[3]-هارولد لامب،مرجع سابق،ص72

[4]-احمد حطيط،مرجع سابق،ص28

وأنطلق المغول بوحشية وقسوة لامتناهية في القتل والسلب والنهب،وأعملوا السيف في سكان هذه المدينة،ونترك السيد الأجل بهاء الدين الرازي الذي التقاه الجوزجاني ووصف لنا المدينة عندما دخلها بعد سقوطها قائلا" عندما وصلنا الى حدود طمغاج وبالقرب من عاصمة "آلتون خان" بدت لنا أكمة عالية على مسافة بعيدة،وحينما كان بيننا وبينها ما يقرب من مرحلتين أو ثلاثة أو أزيد إعتقدنا نحن رسل خوارزم شاه[1]،أن هذه الأكمة البيضاء ربما كانت جبلا تكسوه الثلوج،فسألنا المرشدين وأهالي تلك المنطقة فقالوا:هذ هي جملة رفات الناس الذين قتلهم المغول،ولما تقدمنا مرحلة أخرى كانت الأرض لزجة سوداء بسبب ما أريق عليها من دماء الأدميين،ووجب السير ثلاث مراحل أخرى في ذلك الطريق حتى وصلنا الى الأرض الجافة"[2] كان هذا انتقام جنكيز خان من خيانة إمبراطور"كين" الهارب الى الجنوب،والذي سيتم إسقاط عاصمته الجديدة فيما بعد

وبسقوط العاصمة"بكين" "زنغدوا" إنتهت الحقبة الأولى من حروب المغول في شمال الصين، بقيادة جنكيز خان،دامت لأكثر من أربع سنوات متتالية من الحروب والمعارك، أسفرت عن جملة من النتائج التي حصدها المغول في هذه الحملات:

1-رد الإعتبار للمغول،فقد إنتقم المغول بقيادة جنكيز خان من حكومة "الكين"،ومنذ ذلك التاريخ كان جنكبز خان يرى أنه رد مالحق بأجداده من إهانات "الكين"،وأنهم لا يمكنهم الأن أن يلحقوا به الضرر[3]

2-إنضم الى المغول جموع بشرية كبيرة،أسرى ومتطوعين،فقد إصطحب جنكيز خان معه من الصين الشمالية فيالق كاملة من الجنود والضباط،إضافة الى المهندسين والحرفيين والصناع وأصحاب المهن وأرباب الأعمال،وقام جنكيز خان بإستقطاب علماء من كل الأعراق،ومن الصين إصطحب العام

[1]- فكر السلطان محمد خوارزم شاه بعد ان تحول حربيا في آسيا الوسطى في أن يفتح بلاد الصين،ولكن نمى الى سمعه ان جنكيز خان قد استولى عل بكين،ولما كنت صحة هذا الخبر مجهولة،وكان يطمح في فتح هذه الديار،فقد ارسل وفدا بصحبة السيدالاجل بهاء الدين الرازي ليتثبت من هذا الامر،انظر:محمد دبير سياقي،**السلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ**،ص41

[2]-الجوزجاني،مصدر سابق،ص122

[3]- كيتشانوف،مرجع سابق،ص266

"يلو-تشو-سي" [1] الذي ينتمي الى العائلة المالكة الخطانية،والضليع في العديد من اللغات،وبقي مواليا له طيلة حياته[2]

3-حصد المغول ثروة هائلة،وسلبوا غنائم كثيرة،من الذهب والفضة والحرير،إضافة الى الماشية والخيول الأصيلة،وبذلك خرج المغول من الفقر،فقد ولت سنون الفقر والتشرد ،والقحط والمجاعات،وفي ذلك يقول الجويني"إنتقلوا من مضايق الشدة الى بحبوحة النعمة،ومن السجون الى جنة النعيم...وتبدلت أحوال المغول وانتقلوا من العيش وشظفه الى رغد العيش وحلوه"[3]

ثانيا: غزو الصين في عهد خلفاء جنكيز خان

فارق جنكيز خان الحياة في الرابع من رمضان 624هـ الموافق ل الثامن عشر من اغسطس من عام 1227م،وهو في الثانية والسبعين من عمره[4]وكان جنكيز خان قد قسم إمبرطوريته الشاسعة بين أبنائه الأربعة،وذلك أنه رأى بثاقب فكره أن خير وسيلة لتدريب أبنائه على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسؤوليات،هو أن يقسم إمبراطوريته بينهم وهو على قيد الحياة،وهذا المبدأ إنما كان سائدا عند الشعوب البدوية،الذي يعتبر ما يتم إمتلاكه من أراضي وأقاليم،ليس ملكا للحاكم وحده،بل للأسرة الحاكمة،وطبقا للقانون المغولي يعطي الأب قبل وفاته قسما من أملاكه لأبنائه الكبار بحسب سنهم،ويترك الجزء الأهم لأصغر أبنائه[5]،وتم التقسيم كالتالي:

هذا المبدأ إلتزم به جنكيز خان إذ أعطى إبنه الأكبر،الأراضي التي تمد من الضفاف الغربية التي تمد من نهر "ايرتيش" الى نهر "اتيل" الفولغا،وكان إسم تلك البلاد عامة القبجاق،ويطلق عليها إسم

[1]-كان رجلا ذكيا واكثر شخص اثر في جنكيز خان،ولاه مناصب عليا في دولته.انظر:عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص155

[2]ايمي شوا،مرجع سابق،ص162

[3]- الجويني،مصدر سابق،ص63

[4]- انظر تاريخ وفاته في: جمال لدين ابن تغري بردي (ت874هـ)،**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،تح: محمد حسين شمس الدين،ج6،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،1992،ص238.الحافظ الذهبي(ت748هـ)،**العبر في خبر من غبر**،تح: محمد بن السعيد بسيوني،ج3،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1،1985،ص192. شهاب الدين ابن العماد (ت1089هـ)،**شذرات الذهب في اخبار من ذهب**،تح: محمود الارناؤوط ،ج7،دار ابن كثير ،دمشق،ط1،1991،ص199.بارتولد،مرجع سابق،ص641.البناكتي،مصدر سابق،ص409

[5]-عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص164.الباز العريني ،مرجع سابق،ص156

القبيلة الذهبية،ولما كان جوجي توفي في حياة أبيه،ورث أبنائه نصيبه، وكانت تشمل الأراضي البلغارية، وتمتد لتشمل جميع الأراضي التي تستطيع خيول المغول أن تطأها[1]

وأختص جغتاي الإبن الثاني ببلاد الإيغور،وأقاليم ماوراء النهر،وكاشغر،وبلخ وغزنة،وهي البراري التي كانت تحتلها إمبراطورية الخطا،وأمتدت مساحتها من بلاد الإيغور شرقا حتى بخارى وسمرقند غربا[2]

أما أكتاي الابن الثالث لجنكز خان الذي أوصى له والده بالعرش المغولي، فحصل على مايقع الى الشمال والشمال الشرقي من بحيرة بالكاش من أقاليم "إميل"،و"تارابجاي"،و"اورتش"،و"اورنجوا"، الممتد صوب النيمان[3]

أما الإبن الأصغر تولي فقد كان من نصيبه قلب الإمبراطورية المغولية موطن أبائه وأجداده،والتي تشمل وديان وأنهار "كريولين" و"أورخون" و"أنون"،ومنطقة قراقورم[4]

أ/ في عهد أوكتاي قآان (627-638هـ/1229-1240م)

إن تعيين أكتاي كوريث للعرش المغولي جاء بعد تمحيص من جنكيزخان لأبنائه،وكذلك لما اتصف به أكتاي من خصال على الرغم من انه لم يكن أحسنهم،وقد جاء تعيينه على رأس عرش المغول، وتلقب بالقآان[5] بعد سنتين من موت جنكيز خان،وذلك بعد إنعقاد المؤتمر العظيم "قوريلتاي" سنة (626هـ/1229م)[6]،حيث شغر منصب الخان مدة عامين تولى خلالها تولي أخوه الأصغر تسير أمور الدولة،ولما تحسس الأمراء أنه قد يحدث أمرا ما،فيتطرق الفساد والخلل الى أساس الملك،أمروا بتعجيل تنصيب الخان،وبهذا الفهم الدقيق تبادل الأمراء الرسل فيما بينهم من الجهات

---

[1]-سعد بن حذيفة الغامدي،مرجع سابق،ص142.البناكتي:مصدر سابق،ص429

[2]- عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ)،**الخبر عن دولة التتر**،تح: احمد عمراني،دار الفارابي ،بيروت،ط1،2013،ص149.الباز العريني،مرجع نفسه،ص158.فامبري،مرجع سابق،ص179

[3]-ستيفن رنسيمان،**تاريخ الحروب الصليبية**،تر:الباز العريني،ج3،دار الثقافة،بيروت،1997،ص429.الباز العريني،مرجع سايق،ص158

[4]- عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص156

[5]-لفظة **قآان**(خاقان)لقب اطلقه المغول على الرئيس الاعلى لدولتهم،ومعناه رئيس الرؤساء او اعظم الحكام،اما لقب(خان)فكانوا يطلقونه على الامراء الذين يتولون جزءا من الامبراطورية.انظر:رشيد الدين الهمذاني (ت718هـ)،**جامع التواريخ**(**تاريخ خلفاء جنكيز خان من اكتاي قآان الى تيمور قآان**)،تح: فؤاد عبد المعطي الصياد،دار النهضة العربية ،بيروت،ط1،1983،ص14

[6]-جمال الدين ابن تغري بردي (ت874هـ)،**المنهل الصافي والمستوفي بعدالوافي**،تح:محمد محمد امين،ج4،مركز تحقيق التراث،القاهرة،1986،ص77.ادوارد جرانفيل براون،**تاريخ الادب في ايران**،تر:ابراهيم امين الشواربي،المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة،ط1،2005،ص573.بارتولد،مرجع سابق،ص649

المختلفة،وحضر الأمراء والأنجال من أقاليمهم صوب الموطن القديم،ونودي بعد الإجتماع بأكتاي قآانا أعظم للمغول[1]

بعد الإنتهاء من مراسيم تتويج أكتاي قآان على رأس عرش المغول،وبعد ترتيبه لأمور ملكه وتقسيم أراضي الإمبراطورية على كبار الأمراء،بدأ اكتاي قآان في إعداد الجيوش وإنفاذها لإستكمال العمليات العسكرية، وإتمام الفتوحات التي كانت على عهد جنكيز خان،وإخماد التمردات والثورات التي ظهرت خلال فترة الإنتقال هذه،ووفقا لخطة تم إعدادها تحركت جيوش المغول على ثلاث جبهات،الى الصين،والى البلاد الإسلامية،وأخرى إنطلقت الى أوربا[2]

وما يهمنا هنا جبهة الصين، بما أنها موضوع الدراسة،وبالعودة قليلا الى فتوحات جنكيز خان،فإن القوات المغولية إستطاعت أن تنتزع بعض الأجزاء فقط من أقاليم الصين الشمالية،مثل جزيرة "شانتونج" وأطراف خليج "بيتشيلي"،والعاصمة الأولى بكين أما بقية الأجزاء في هذه المنطقة فكانت لا تزال تحت حكم أسرة "كين"[3]

وبالتالي كان لابد من بذل مجهود أخر في الصين،فما حدث منذ وفاة "موخولي" 1222م،وإنصراف جنكيز خان الى القتال في الغرب- لم يكن قد رجع للصين إلا في العام 1225م،يعني قرابة عشر سنوات منذ سقوط بكين1215م-أدى الى أن تستعيد أسرة "كين" أملاكها...ولم تكتفي بالمحافظة على عاصمتها في "كاي-فونغ"،بل إستردت أيضا من المغول كل حوض "الواي"،في شنسي الوسطى بما إحتوى عليه من معقل"تونغ-كوان"،الذي يقع على مدخل هونان،وحصن "هو-تشونغ"،على النهر الأصفر،في جنوب غربي "شانسي"[4]

---

[1]- الهمذاني،جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان،ص28.محمود سعيد عمران،**المغول واوربا**،دار المعرفة الجامعية،دت،ص42.الجويني،مصدر سابق،ص199

[2]-كان عهد اكتاي قاان عهد فتوحات بحق حيث وصلت جيوش المغول الى داخل اوربا، انظر:سعيد عمران،مرجع سابق،ص41 وما بعدها.رنسيمان،مرجع سابق،ص431.امال سليمان الزوي،**الامبراطورية المغولية في عهد اكتاي**،دار الفضيل ،ليبيا،ط1،2011 ص83.الباز العريني،مرجع سابق،ص180

[3]-عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص184

[4]- الباز العريني،مرجع نفسه،ص163.سعد بن حذيفة الغامدي،مرجع سابق،ص146

يذكر رشيد الدين أن القآان اكتاي أعد جيوشه التي تحركت نحو الصين في العام (627هـ/1229-1230م)[1]،وخرج على رأسها القآان اكتاي بنفسه مع أخويه جغتاي و"ألغ-نوين"-وهو القب الذي تلقب به أخوه تولي خان-ووصلو في بداية الأمر الى مدينة يطلق عليها إسم "خوجا-تبوبسقين"،وهي مدينة "فنغ-سيانغ" في حوض "هواي-هو" على مشارف "تون-كوان" فإحتلوها بعد حصار شديد طوقوا به المدينة لأربعين يوما[2]

إلا أن هذه الحادثة يذكرها الجويني أنها كانت قبل أن ينقسم الجيش المغولي و "أنها شهدت قتالا عنيفا لأربعين يوما"،فيما يذكرها رشيد الدين أنها كانت بعد أن إنقسم الجيش المغولي و"أن المدينة فتحها أهلها بعد أن طلبوا الأمان من الجيش المغولي الذي حاصرها لأربعين يوم"[3]

وعلى أية حال فإن الجيش المغولي وبعد أن تمكن من هذه المدينة،إنقسم الى قسمين،إذ أوفد القآان اكتاي تولي خان في جيش قوامه تومانين-التومان في الأعداد المغولية يساوي 10000-عن طريق التبت،وسار بنفسه في الطريق الأيمن[4]ويقول السيد الباز العريني أن تقسيم الجيش المغولي بهذا الشكل،يعد خطة رائعة وضعها المغول،فنظرا لأنه لم يكن بوسعهم أن يتخذوا الطريق المباشر الى "تونغ-كوان"،ساروا إليها من جهة الشمال الشرقي والجنوب الغربي،وبينما بادر اكتاي قآان بجيشه الضخم وأدوات الحصار، الى الإستيلاء على"هو-تشونغ"،فتهيأ له بذلك عبور النهر الأصفر،قام أخوه تولي بالتوجه الى هونان التي بلغها في يناير(629هـ/1232م)[5]

وجدير بالذكر هنا أن تولي لم يكن من السهل عليه الوصول الى إقليم هونان،إذ أن "آلتون خان" لما علم بأمر الجيش المغولي،أرسل إثنين من قادته هما "قداي رنكو"و"قمرتكودر"مع مائة ألف فارس من أفضل الرجال لمواجهتهم،وقد رابطوا في الصحراء وعلى سفوح الجبال،ونظموا صفوفهم،وكانوا غاية الغرور والثقة بأنفسهم لكثرتهم وقلة المغول[6]

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص32

[2]- الجويني،مصدر سابق،ص205.احمد حطيط،مرجع سابق،ص50

[3]-الهمذاني ،مصدر سابق،ص33.الجويني،مصدر سابق،ص205

[4]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص33

[5]-الباز العريني ،مرجع سابق،ص163-164

[6]-الجويني،مصدر نفسه،ص206.الهمذاني،مصدر نفسه،ص34

وتذكر المصادر التي بين أيدينا بهذا الصدد،قصة خرافية مفادها أنه لما أدرك تولي أن نطاق المقاومة قد ضاق عليه،إستعمل رجلا كان يسمى "قنقلي"وكان خبيرا في علم "الياي" يعني إستعمال حجر المطر،وهو نوع من السحر،يشتمل على عدة أحجار متنوعة،من خصائصها أنها إذا أخرجت ووضعت في الماء وغسلت هبت الرياح والأمطار والثلوج حتى ولو كان الوقت صيفا،فنزلت الثلوج والأمطار وأصبحت البرودة شديدة،فتحير جنود الخطا ودهشوا لذلك،واستطاع المغول بعد ثلاثة ايام أن ينقضوا عليهم،وانتصروا عليهم[1] ولا شك في أن هذه الحادثة خرافية،على أن ما يهمنا منها أن جيش المغول إستطاع وفي ظروف معينة أن يهزم جيوش "الكين"،وإستطاع بعد ذلك أن يكمل المسير الى هونان

وبذلك يكون تولي قد قام بمناورة واسعة جنوبا بغرب،واجتاح مملكة "سونغ" وعبر من نهر "الواي"الى أعالي نهر "الهان" وأحتل مدينة "هان-تشونغ"،في إقليم "زتشوان"،وسار بمحاذاة نهر "كيالنج"،وأحتل إقليم"باوننج"،ثم عاد فأجتاز نهر "الهان"من جديد مطلع العام(1232م)،وظهر جنوبي إقليم هونان من جهة "نان-يونغ"،حيث إلتقى الجيشان المغوليان في قلب الإقليم المذكور،في مدينة"كيونغ-شو"[2]واشترك الجيشان في الأعمال الحربية عند "كيونغ-شو"في وسط هونان،وأسفرت المعارك على إنتصار المغول على القوات الصينية إنتصارا ساحقا،وأنتزعوا منهم مساحات شاسعة من الأراضي[3]

وبرغم ما أظهره الصينيون من بسالة في القتال،غير أن موقفهم كان بالغ السوء،فبقيادة مثل الإمبراطور"نن-كيا-سو"أخر ملوك "الكين"،والذي يخبرنا عنه رشيد الدين أنه كان ضعيفا ولاهيا،مع جواريه وخواتينه،وقادته الذين أخفوا أمر الإجتياح المغولي عنه لعلمهم بضعفه،لا يمكن بأية حال تصمد الإمبراطورية،[4]أمام القائد المشهور "سوبتاي" العبقرية العسكرية،والذي عهد إليه اكتاي قآان حصار العاصمة"كاي-فونغ"التي سقطت في مايو (1232م) بعد حصار إستمر طويلا[5] إلا أن الإجتياح الكامل لبلاد الخطا كان بإشتراك قوات المغول مع قوات أسرة "سونغ" الجنوبية،الذين أعانوا

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص35.الجويني،مصدر سابق،ص206

[2]-احمد حطيط،مرجع سابق،ص51

[3]- عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص184.الباز العريني،مرجع سابق،ص164

[4]الهمذاني،مصدر نفسه،ص38

[5]-الباز العريني،مرجع نفسه،ص164

المغول على إسقاط مدينتي "كوييه-تو" ثم "تساي-تشو"،التي إلتجأ إليها "نن-كيا-سو" هاربا بعد سقوط العاصمة "كاي-فونغ"،وبذلك كافأ القآان اكتاي أسرة "سونغ" على مابذلته من مساعدة،بأن تنازل لهم على بعض المناطق الواقعة الى الجنوب الشرقي من هونان،على أن الإمبراطور "لي-تسونغ"(1225م/1264م) لم يقنع بهذا الجزء،بل طمع في أن يحصل على هونان بأكملها،فبادر بمهاجمة المغول،وتم له الإستيلاء على "كاي فونغ" و"ليو-ليانغ"،وذلك في العام (1234م)يعني بعد عودة القآان الى العاصمة قراقورم،حيث عقد هناك مجلس الشورى "قوريلتاي" سنة(1235م)قرر المضي الى غزو إمبراطورية "سونغ" الجنوبية[1]وقد دامت الحروب مع أسرة "سونغ" بعد ذلك نحو أربعين سنة (1235م/1279م) لم يشهد اكتاي إلا مراحلها الأولى إذ أنه توفي في العام (638هـ/1240-1241م)[2]

ب/في عهد منكو قآان (648-657هـ/1250-1259م)

تولى من بعد اكتاي قآان رئاسة خانية المغول إبنه كيوك وذلك بعد قرابة الخمس سنين من شغور منصب القآان وكان إنتخابه في (644هـ/1246م)ولم تدم فترة حكمه طويلا إذ أنه توفي بعد ثلاث سنوات من حكمه أي في عام (647هـ/1249م)،ولم تمدنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات مهمة عن الفتوحات التي كانت على عهده[3] سوى أنه وبعد تتويجه أمر بتجهيز الجيوش وتوجيهها لإستكمال عمليات الفتح،وكان على رأس الجيش الذي بعثه الى الصين الجنوبية التي كانت تعرف "بمنزي" القائد المعروف "سوبتاي بهادر" و"جغان نويان"[4]

وبعد أن توفي كيوك[5] تولى منكو الإبن الأكبر لتولي وكان ذلك في العام (648هـ/1250م) وبهذا التتويج إنتقلت الخانية من بيت اكتاي الى بيت تولي[6]وأعتبر منكو قآان أن أولى واجباته السياسية هي

---

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص39.الباز العريني،مرجع سابق،ص165

[2] - نفسه،ص63

[3]- نفسه،ص182.احمد حطيط،مرجع سابق،ص56.ادوارد براون،مرجع سابق،ص574

[4]- نفسه،183

[5]-بعد وفاة كيوك تولت ارملته "اغول غايمش" مباشرة الحكم،تميزت هذه الفترة بالاضطرابات صاحبت تتويج منكو على راس العرش،وقد عرفت فترة حكم منكو ترتيبات واصلاحات مهمة،للتفصيل حول ظروف التتويج والاصلاحات التي قام بها منكو.انظر:الجويني،مصدر سابق،ج2،ص25.الصياد،مرجع سابق،ص205ومابعدها.بارتولد،مرجع سابق،ص680

[6]-عباس اقبال،**تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**،تر:عبد الوهاب علوب،المجمع الثقافي،ابو ظبي،الامارات،2000،ص176

إتمام تنفيذ وصية جنكيز خان التي نفذ أكتاي جزءا منها،لذلك بدأ بإعداد الحملات الى الصين وآسيا الغربية،ففي الصين كانت المشكلة تتمثل في توحيد الفتوحات ودمج الفتوحات التي تمت،ولهذا عمد الخان الأعظم الى الإحتفاظ بهذه المهمة لنفسه[1]

جهز منكو قآان في السنة الثانية من حكمه حملتين كبيرتين،نصب أخاه الأصغر هولاكو على رأس إحداها،وعهد إليه بغزو الأقاليم الغربية،كذلك نصب أخاه الأوسط قوبلاي على رأس الحملة الأخرى،لفتح أقاليم الصين الجنوبية[2]

ولما كان قوبلاي حديث العهد بالحملات العسكرية-على الرغم من ان عمره كان سبع وثلاثين سنة-على عكس ابيه "تولي" واخيه منكو،فقد حرص منكو قاان على توفير افضل الدعم لقوبلاي،فامده باحد افضل رجالاته خبرة وتمرسا،القائد"يوريانغ كداي"وهو ابن القائد سوبتاي[3]

يذكر رشيد الدين أن قوبلاي لاقى أثناء سيره صعوبات بسبب قلة العلف،وصعوبة السير في الطريق الذي سلكه[4] من أجل الوصول الى مملكة "نانزو" العظمى،وهي منطقة واقعة الى جهة الشمال،وتسمى "سيتشوان"[5]وعرفها الصينيون بإسم دالي-واسمها اليوم شانغدو-،وهي المنطقة التي إعتبرها منكو قآان و قوبلاي نقطة إنطلاق مهمة لمواصلة الفتوحات،الأمر الذي إعتبره الإستراتجيون في قراقورم فكرة جنونية لصعوبة الوصول إليها[6]

في أواخر صيف (650هـ/1252م)وبالتحديد في شبه صحراء"أوردوس"،نجد جيش قوبلاي إستغرق عاما لإستجماع قواه وهي عملية مرهقة تضمنت حشد أعداد ضخمة من المركبات الحربية

---

[1]-بارتولد شبولر،**العالم الاسلامي في العصر المغولي**،تر:خالد اسعد عيسى،دار حسان ،دمشق،ط1،1982،ص44

[2]-الهمذاني،مصدر سابق،ص220.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص216.احمد حطيط،مرجع سابق،ص56

[3]- جون مان،**كوبلاي خان ملك المغول الذي اعاد بناء الصين**،تر: احمد لطفي،دار الكتب الوطنية ،ابو ظبي،الامارات،ط1،2013،ص85

[4]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص220

[5]-**مقاطعة سيتشوان** ،تقع على مجرى نهر الينغسي،في جنوب غرب الصين،ذات مساحة شاسعة،تتكون من تضاريس وعرة فبالاضافة الى المساحة الزراعية الواسعة،هناك الجبال والاودية والانهار عددها 1300نهر،حاضرتها مدينة تشنغدو،وهي مدينة ذات شهرة تاريخية،كانت دائما مركزا سياسيا واقتصاديا وعسكري هام لجنوب غرب الصين. شوي قوانغ،مرجع سابق،ص155

[6]- جون مان،مرجع نفسه،ص87

وألات الحصار التي ستشق الأنهار والوديان في طريقها[1]بهذا يكون قوبلاي عسكر في العام(651هـ/1253م) في مقاطعة شانسي،وانطلق منها باتجاه مقاطعة "ناتشو"،فأستولى في طريقه على مقاطعة "قندهار"،قراجانك و"جغان جانك"،وذلك لتوفير المؤن للجيش،ثم عبر ممرات جبال "ساشوان" ووصل الى نهر "كنشا"[2]

في خريف(651هـ/1253م) توجهت هذه القوات العظمى نحو الجنوب الغربي، ومنها الى الجنوب الى منطقة "سيشوان"،وأصبح قوبلاي جاهزا للهجوم على مدينة دالي،وأرسل كالمعتاد رسله يعرضون فرصة للاستسلام،لكن حكامها أبوا ذلك،وقام "جاو"قائد مدينة دالي بتكتيل قواته في أعلى نهر "الينغسي"،واستطاعت قوات المغول أن تعبر النهر ليلا وأنقضت على قوات "جاو"وهناك أنزلوا به أضرارا جسيمة،وأجبروه على التراجع الى المدينة،وبعد حصار فتحت المدينة،وأتخذها "يوربانغ كداي" قاعدة عسكرية للهجوم على المناطق الجنوبية والشرقية،وبذلك زحف المغول الى البقاع المتاخمة لإقليم سونغ،وفي غضون أربع أعوام لم يواجهوا ممانعة تذكر،وأصبحت لديهم-وبالأخص قوبلاي ذاته-جميع المعلومات الازمة للتخطيط للمرحلة التالية بعد الحرب على الجنوب[3]

في العام(653هـ/1255م)صمم منكو قآان على أن يتولى العمليات العسكرية بنفسه،فخرج الى الصين الجنوبية،وترك أخاه الأصغر"اريق بوكا"على رأس المعسكرات وجنود المغول الذين يقيمون هناك،وعبر النهر الأصفر المتجمد ودخل "شانسي" حيث عسكر بالقرب من جبل ليوياشان[4]

أفاد رشيد الدين أن جيش المغول الذي صحب منكو قآان في حملته على الصين الجنوبية بلغ تعداده ستمائة ألف جندي[5]،وكان هذا لأن المهمة المنتظرة لم تكن بالسهلة،إذ أنه سيواجه خصما مختلفا بينهما فارق كبير،فإقليم سونغ عبارة عن إمتددات شاسعة من الأراضي التي تشقها الأنهار وتملؤها الجبال والغابات، والملايين من الناس،ناهيك عن أربعين مدينة يقطنها الألاف من

[1]-جون مان ،مرجع سابق،ص87

[2]-محمد سهيل طقوش،**تاريخ المغول العظام والاليخانيين**،دار النفائس ،بيروت،لبنان،ط1،2007،ص153

[3]-جون مان،مرجع نفسه،ص87الى90

[4]- الهمذاني،مصدر سابق،ص221.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص153

[5]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص222

السكان،المحصنة والمنيعة جيدا،ولم يمتلك المغول الموارد الازمة لمثل هذا المشروع،فكان عليهم إستخدام الصينيين الشماليين[1]

أدرك منكو قآان صعوبة المهمة وضخامتها-وهو القائد ذو الخبرة الطويلة-فاعتمد في خطته العسكرية للغزو على تقسيم الجيش الى ثلاث فرق لتدخل الى الصين الجنوبية من ثلاث محاور،وذلك لتحقق إنشارا واسعا، وتستولي على أكبر عدد ممكن من المدن

قاد منكو الفرقة الأولى،وتوجه الى مقاطعة "سان كوان"عن طريق "لو تشاو"،واستولى في طريقه على عشرين قلعة،وحاصر القلعة الكبرى "دولي-جانك"،كما إستطاع أن يخضع بعض القبائل،واستولى أيضا على خمس مدن كبرى

وقاد ميوك أغول الفرقة الثانية،فسار باتجاه "ميسانغ-كوان"ليدخل المنطقة عن طريق"سيان تشاو"،فيما ترأس بورتشاك الفرقة الثالثة،وسار باتجاه"ميان-شان"عن طريق "يوكيوان"[2]

وأنتشر جيشان أخران في"كيانغ-نان"و"هو-كوانغ"،الأول بقيادة قوبلاي الذي عاد للإشتراك بعد أن كان يشكو من ألم في قدمه-يرجح جون مان أنه مرض النقرس-،أما الجيش الثاني بقيادة "تقجار نوين"،وعزز منكو الجيش الأول بقوات"كونجو"وأستولى هذا الجيش على عدة مدن،وعبر الجيش الثاني النهر العظيم ليحاصر المدينتين الكبيرتين "سانك-يانك-فو"و"نانك-جنك"غير أنه فشل في ذلك[3]

وفي نهاية(655هـ/1257م)هاجمت جيوش المغول مملكة "أنام"،"تونكين" أين إلتقت بالجيش الأنامي المدعم بالفيلة،وفي معركو حاسمة تعرض فيها الجيش الأنامي لخسارة جسيمة،إستولى المغول على مدينة"كيوشي"عاصمة"تونكين"كما نهبو مدنا أخرى، فيما كانت قوات منكو قآان تجوس أراضي "سيتشوان" وحاصروا مدينة"هو-شاو" الواقعة على نهري"كيالينغ"و"فو"[4] التي صمدت أمام الحصار لمناعتها وتحصنها بالأنهار،والتي كان لبلوغها على المغول أن يجتازوا قلعة "دولي-جانك"التي

[1]-جون مان،مرجع سابق،ص111

[2]- سهيل طقوش،مرجع سابق،ص153

[3]- الهمذاني،مصدر سابق،ص23-24.سهيل طقوش،مرجع نفسه،ص154

[4]-سهيل طقوش،مرجع نفسه،ص154

تسيطر على الأنهار الثلاثة،هذه العملية أجبرت منكو قآان وجيوشه على التوقف التام،لمدة عام تقريبا تفشت خلالها الأمراض بين جنود المغول الذين مات منهم الألاف وكان من بينهم القآان نفسه[1]

وكان عام وفاة منكو (655هـ/1257م) وفقا لرواية رشيد الدين،أما الروايات الصينية فتجعل موته في العام(657هـ/1259م)،ويبدوا أن التاريخ الأخير هو الأرجح،ويقول رشيد الدين نفسه أن منكو مات في العام الثامن من حكمه[2]وبعد الوفاة ترك"أسوتاي أوقول" على رأس الجيش،وحمل جثمانه الى المعسكرات،وقد أقاموا له مراسم التعزية في أربعة معسكرات،ثم دفنوه في موضع "بولقان قالدون"الذي يدعى "يكه قوروق"في جوار جنكيز خان وتولي خان[3]

بهذا يكون المغول قد توقفوا لفتح بلا الصين نحو أربع وخمسين عاما،عرفت أبرز وأهم مراحلها في عهد الخانات الثلاثة جنكيز خان وأكتاي ومنكو،لكن أسرة سونغ لازلت صامدة،وكان قوبلاي الشخصية الأبرز خاصة على عهد أخوه منكو قآان الذي ولاه على أقاليم واسعة من بلاد الصين حيث أسس في "خان باليق" العاصمة "دادو"وقام باصلاحات عديدة،واستطاع إستكمال فتح إقليم سونغ وإعادة توحيد الصين،وكانت هذه المرحلة تمهيدية لسيادته على عرش المغول من الصين،وذلك ما سنتحدث عنه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص225.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص154

[2]-بارتولد،مرجع سابق،ص698

[3]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص225

الفصل الثاني: إمبراطورية المغول في الصين (سلالة إيوان)

المبحث الأول: قوبلاي قآان وتأسيس أسرة إيوان

أولا: شخصية قوبلاي

ثانيا: صراعات قوبلاي على منصب الخان

أ/الصراع مع شقيقه أريق بوكا

ب/الصراع مع الحركات المعارضة

المبحث الثاني: الصين خلال عصر سلالة ايوان

أولا: عهد قوبلاي قآان (658-694هـ/1260-1294م)

أ/ توحيد بلاد الصين

ب/ إصلاحات قوبلاي قآان

ثانيا: خلفاء قوبلاي قآان

أ/ عصر القوة (693-706هـ/1294-1307م)

ب/عصر الضعف (انهيار حكم سلالة ايوان)

المبحث الأول: قوبلاي قآان وتأسيس أسرة إيوان

أولا: شخصية قوبلاي

قوبلاي شخصية مميزة في تاريخ المغول والصين،هو الخان الخامس للإمبراطورية المغولية،وهو حفيد جنكيز خان خان من إبنه الأصغر تولي،من زوجته "سيورقتيتي بيكي"من قبيلة الكرايت،وقد كانت أمه أكبر زوجات أبيه،وتعد من أكبر خواتين المغول،لما لها من مكانة في تاريخ المغول حيث لعبت أدوارا مهمة وخطيرة سياسية وإدارية في البلاط المغولي،وكذلك لدورها في تربية أبنائها الذين أنجبتهم في فترات تميزت أولا بغياب زوجها في حملاته العسكرية وأخرى بعد وفاته،حيث إضطلعت بتربيتهم وتوجيههم،حتى إستطاعت أن تمكنهم من تولي الحكم والسلطة[1]

وبالرغم من أن المصادر التاريخية لا تمدنا بمعلومات كافية عن طفولة قوبلاي ،إلا أنه كان لأمه بيكي الأثر البارز والكبير في رسم شخصيته،فقد إستطاعت أن تقتطع له في فترة خانية عمه اكتاي أجزاء من إقليم الصين،وهو في الواحد العشرين من عمره ،وقامت برعاية الصينيين في ذلك الاقليم،وفي محاولة منها لتملقهم قامت بتوظيف معلمين صينيين لأجل اطفالها[2]فتربى قوبلاي في كنف مربيين صينيين وكان تأثيرهم عليه كبيرا[3]

وبالإضافة الى إقامته الطويلة في الصين قبل توليه العرش،فإن قوبلاي قد تأثر كثيرا بعادات أهل البلد وفتن بأسلوب حياتهم،كذلك تنقل الحوليات الصينية أنه كان لزوجته الأثيرة المسماة "جابوي خاتون"[4]ذات الأصول التبتية دورا هاما في التأثير عليه من أجل أن يتقمص هوية البلاد وأن يتطبع بطباع أهلها،وفي الوقت ذاته كان لنصائح مستشاريه من أهل الصين الأثر في رسم شخصيته،لا سيما أنه عرف عنه أنه كان يستمع لنصائحهم،وله ميل شديد للأخذ من أقوال الحكماء والإستفادة من تجاربهم

---

[1]- للتفصيل في دور سيور قتيتي في تنشاة ابنائها،ودورها في تسيير الاحداث في التاريخ المغولي،انظر:الهمذاني، مصدر سابق،ص197.جون مان،مرجع سابق،ص26.سعاد حسن الطائي،**الدور السياسي والاداري لزوجات خانات المغول خلال العصر العباسي**،مجلة مداد الاداب،العدد الرابع،دت،ص370وما بعدها

[2]- جون مان،مرجع نفسه،ص33

[3]-عباس اقبال،تاريخ المغول،ص181

[4]-كان لقوبلاي قآان زوجات ومحظيات كثيرات كانت اكبرهن جميعا جابوي خاتون ابنة ايليجي نويان،من اتباع ملوك قنقرات،وكانت طيبة جدا،وجميلة ومحببة اليه،وقد توفيت قبل وفات قوبلاي عام(682هـ/1283م)وله منها اربعة ابناء،وسبعة اخرين من زوجاته الاخريات.انظر:الهمذاني،مصدر نفسه،ص237-238.البناكتي،مصدر سابق،ص438

عرف عن قوبلاي أيضا أنه كان،واسع الأفق،حر التفكير،فعلى الرغم من أنه تحول الى البوذية،إلا أنه كان بعيدا عن التعصب،فترك الحرية لكل الاديان وغالبا ما كان يتناظر في بلاطه العلماء و الأئمة من البوذيين والمسحيين والمسلمين،وقد ترجم بناء على أمره أقسام من القرآن الكريم،والإنجيل والتوراة،وتعاليم بوذا[1]وهذه الأمور تبدو عادية في نظرنا لكنها لافتة بإعتبارات ذلك الوقت،المعروف بالتعصب والإقتتال الديني في الجهات الغربية من العالم،فالحروب الصليبية كانت على أشدها،وكذلك الإقتتال الطائفي بين المسلمين،أو بين المسحيين فيما بينهم،أو مع المسلمين في الأندلس،لكن بالمقابل كان المغول البرابرة يسود عندهم الإنفتاح والتحرر على الأديان والثقافات في أقصى الشرق

[1]-عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص221.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص177

ثانيا: صراعات قوبلاي على منصب الخان

أ/الصراع مع شقيقه أريق بوكا

عند وفاة منكو(655هـ/1259م) كان قوبلاي لايزال يقوم بحملات الغزو على أقاليم الصين الجنوبية،وبالضبط على ضفاف نهر "قوبيقة موران"[1]وأحدثت هذه الواقعة الصدمة داخل الإمبراطورية المغولية في من يخلف منكو على عرش المغول، فأولاده الذين من المفروض أن تنتقل إليهم الخانية لازالوا صغارا ويفتقرون الى الخبرة والتجربة[2]لذا فإن الدلائل السياسية قد أشارت الى ترشيح قوبلاي لمنصب الخان،بوصفه أكبر الأخوة الثلاثة للخان الراحل الذين مازالوا على قيد الحياة[3]

إلا أن الذي حدث هو معارضة أخيه الأصغر أريق بوكا،الأمر الذي أحدث النزاع بينهم ،وعلى رأي بعض المؤرخين[4] أن منكو لما كان يقوم بحملاته على الصين الجنوبية، كان يفكر في تولية العرش لأخيه أريق بوكا،بناءا على تركه نائبا عنه على رأس العرش بمنغوليا،أو كما ذكر إبن العبري أنه بقتضى الياسا فإن له الحق في خلافة أخيه بما أنه الأصغر[5]،في حين يذكر رشيد الدين الهمذاني أنه خلفه حقيقة على المعسكرات والجنود ولايذكر تفكيره بتوليته[6]

وهكذا إنقسمت الأسرة الحاكمة الى قسمين،فقوبلاي الذي كان في الصين كانت تسانده قواته المرافقة له في حملاته،مع أغلب مستشاري وأمراء الدولة من الصينيين والمغول،لما يعرفون عليه من الحنكة السياسية والتجربة والخبرة والقيادة العسكرية،وأنه المؤهل من بين أمراء المغول لمنصب القآن،في حين كان يساند أريق بوكا معظم أقارب الأسرة الإمبراطورية في منغوليا،وسبب ذلك راجع الى رأيتهم له أنه القائد المغولي التقليدي،في مقابل قوبلاي الذي كان قد تشبع بروح الصينيين واتصل بهم إتصالا وثيقا[7]

---

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص243.جون مان،مرجع سابق،ص114

[2]-ستيفن رنسيمان،مرجع سابق،ص530

[3]-سهيل طقوش،مرجع سابق،ص155

[4]- عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص216.عباس اقبال،مرجع سابق،ص181

[5]-غريغوريوس ابن العبري (ت685هـ)،**تاريخ مختصر الدول**،دار الرائد اللبناني ،الحازمية،لبنان،ط2،1994،ص491

[6]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص221

[7]- ابن العبري:مصدر نفسه،ص491.البناكتي،مصدر سابق،ص438.رنسيمان،مرجع نفسه،ص531.عبد المعطي الصياد،مرجع نفسه،ص217.عباس اقبال،مرجع نفسه،ص181

بداية الصراع كانت بإرسال أريق بوكا رسله الى الأقاليم لسحب الجنود المدرعين من المغول ،وأرسل الأميران "دورجي"و"العلمدار"الى بلاد الخطا،وهو الأمر الذي لم تستوعبه زوجة قوبلاي جابوي خاتون وأمراء المعسكر،فأرسلوا الى قوبلاي يستعلمونه عن الأمر،وتوافق ذلك مع وجود رسل أريك بوكا عنده،فاستفسر منهم أين يرسلون الجنود[1]فتملصوا من ذلك وارتبكوا عند مواجهتهم بأنه سمع بإجرات أريق بوكا،عند ذلك عرف قوبلاي أن أمرا يدبر،واشتم رائحة الخيانة،وفي لقاء سري مع كبار قادته أخبرهم أنه سيتوجه الى الشمال ليقف على حقيقة ما يجري[2]

وبعد أسبوعين تحرك قوبلاي الى الشمال وأرسل رسالة الى أريق يسأله عن أمر القوات وسبب تجمعها،ولماذا لم تسلم إليه(أي الى قوبلاي)ليستخدمها ضد الصينيين في عمليات الغزو والحصار،فأشار أحد مساعدي أريق بوكا أن قوبلاي فهم ما يجري وأرسل قائلا"أنه يبدو أن قوبلاي قد إطلع على ما تدبره،والمصلحة تقتضي الأن أن تبعث بواحد من الأمراء النويان الكبار في صحبة هؤلاء الرسل مع بعض الصقور والدواب حتى يطمئن قوبلاي وينخدع بذلك[3]

الملاحظ في هذه الرسالة أنها تحمل في طياتها كثيرا من التفسيرات،وتعبر عن مكانة قوبلاي عند الأمراء والقادة أو حتى عند أريق بوكا ذاته الذي ينافسه،وهي تبين أيضا تسرع أريق بوكا وإفتقاره للخبرة والحنكة الازمة للتعامل مع هذا الأمر،على عكس قوبلاي الذي يبدوا هادئا وهذا راجع طبعا الى الفارق بين الشخصيتين،وهذا الأمر الذي سيلعب دورا هام في حسم هذه المسالة.

حدث ذلك وأعرب قوبلاي عن إرتياحه ظاهريا،لكن الخديعة لم تنطلي عليه،فالسياسة أصبحت تهدد أساس الإمبراطورية،وأمر قوبلاي قادته "بهادر نويان"و"أوريا نكقداي"بالتخلي عن حصار مدينة "أوجو"او"وتشانغ"والعودة الى حضرته،في خطوة لتجميع قواته،هذا في الوقت الذي كان فيه أريق بوكا يجتمع مع قادته على إعتبار خديعة قوبلاي،فأرسل رسله الى كل ناحية من أجل جمع الأمراء الأنجال وأمراء الأقاليم،لكن كان الحضور لقليل منهم،فيما إعتذر الكثير منهم عن الحضور،ويمكن القول هنا أن هؤلاء الأمراء إعتذروا كي لا يدخلوا في هذ الصراع وإتخذوا بذلك موقف الحياد،أو كما قال جون مان أن للأمر علاقة بالتلاعب باللوائح وهو ما لم يستجب له الأمراء،بعد ذلك جرب أريق بوكا

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص244-245

[2]-جون مان،مرجع سابق،117

[3]-جون مان،مرجع نفسه،ص118.الهمذاني،مصدر نفسه،ص246

محاولة أخرى من أجل عقد إجتماع،وإتخذ من تأبينية أخوه منكو ذريعة،فأمر بعقد مجلس عزاء دعا إليه الأمراء وقوبلاي مرة أخرى،وأرسل الى قوبلاي بكتاب مفاده"أن المصلحة تحتم أن يحضر قوبلاي وجميع الأمراء الأنجال للتعزية في وفاة منكو قآان"ويعقب رشيد الدين على هذه الرسالة بأن القصد منها أن يعتقلوهم جميعا عند وصولهم،ونصح قادة قوبلاي بالذهاب "وأن ذلك عين المصلحة،وأن الذهاب لواجب ولازم"وبمجرد خروج رسل أريق أرسل قوبلاي في طلب القوات التي كان يقودها منكو قبل وفاته،وكانت متمركزة بعيدا عن الأحداث في أرض ننكياس والتانغوت [1]

يذكر رشيدالدين أن أريق بوكا لما وصلته رسل قوبلاي لم يسعه الإنتظار أكثر من ذلك،ويبدوا أنه كان مستعجلا في أمر تتويجه على عرش القآانية،فعقد مؤتمرا في موضع يدعى "يايلاق آلتاي"بحضور جماعة من الأمراء مؤيديه من بينهم أبناء القآان الراحل منكو "أسوتاي"و"أورنكتاش"[2]وأوفدوا من بعد ذلك الرسل الى ولايات المغول والأقاليم،وأشاعوا بأن هولاكو وبركة خان أقوى شخصيتين من بيت جنكيز خان يؤيدان أريق بوكا[3]

رفض قوبلاي الإعتراف بهذا القرار وعمد الى عقد إجتماع لمجلس الشورى،في مدينة "شانغ-تو"أو"مينغ-تو"إحدى مدن الصين الشمالية،بحضور جميع أعوانه ومؤيديه من الأمراء،ولم يكن قوبلاي وحده الذي رفض قرار أريق بوكا،فقد إحتشد عنده الأمراء والقادة الذين لم يستجيبوا لدعوة أريق بوكا،وفي سنة(658هـ/1260م)في منتصف الصيف،أجلسوا قوبلاي على عرش المغول،وقد كان في السادسة والأربعين من عمره،وجريا على عاداتهم كتب جميع الأمراء الأنجال والأمراء وثائق خطية[4]

وجدير بالذكر أن معظم المؤرخين لم يعطوا لكلا المجلسين صفة شرعية لأنه لم يمثل في كل منهما كل فروع الأسرة الإمبراطورية،وأنهما لم ينتظرا وصول مندوبين عن هولاكو وأمراء القبيلة الذهبية فضلا عن بيت جغتاي[5]إلا أننا نرجح كفة قوبلاي،بناءا على إشارة وردت عند رشيد الدين أن الأمراء في

---

[1]- جون مان،مرجع سابق،ص118.الهمذاني،مصدر سابق،ص246

[2]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص247

[3]- بارتولد، مرجع سابق،ص699

[4]- الهمذاني،مصدر نفسه،ص249.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص155.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص217.ستانلي بول:مرجع سابق،ص230

[5]- انظر من المؤرخين الذين تناولوا هذه الجزئية:ستيفن رنسيمان،مرجع سابق،ص531.عباس اقبال،مرجع سابق،ص181.سهيل طقوش،مرجع نفسه،ص156

نقاشهم حول إجتماع القورلتاي تم التطرق الى دراسة وضعية كل من هولاكو وبركة خان،وإحتمالية عدم قدرتهم عل المجيئ للظروف التي تحيط بكليهما[1]

على كلٍ بات لزاما على قوبلاي قآان أن يحل هذه المشكلة التي حلت بالإمبراطورية إذ أنه أصبح هناك خانان للدولة،ولم تكن موافقة معارضيه عن طيب خاطر أمرا ممكنا إلا إن أجبرهم على الخضوع لتبعيته بالقوة،خاصة أن قوبلاي كان يرى نفسه خليفة لأباطرة الصين السابقين،وكان في الحقيقة قد إندمج في الحضارة الصينية ومعارفها وتقاليدها،وكانت هذه مشكلة بالنسبة لمناوئيه التقلديين،فكان عليه إتخاذ خطوة الإقدام على محاربة أخوه أريق بوكا وإنتزاع العاصمة المغولية قراقورم منه[2]

في غضون ذلك حاول قوبلاي التوصل الى حل دبلوماسي مع شقيقه،فأرسل له من الأمراء مائة رسول ليخبروه بشرعية تولي قوبلاي منصب القآان وعليه الخضوع،وحدث أن كان أحد رجال أريق بوكا حاضرا في حفل تتويج قوبلاي إسمه "دورجي" على رواية رشيد الدين[3]،حاول الهرب ومعه الأنباء،لكن جنود القآان ألقوا عليه القبض،واعترف لهم بالخطط التي كانوا قد دبروها من البداية للنهاية،في حين عاد أريق بوكا الى قراقورم ليؤكد أحقيته من هناك،وحاول قوبلاي تنصيب أحد أتباعه "أبشيقا"وهو حفيد أحد أبناء عمه على ألوس جغتاي في آسيا الوسطى[4]،ولكن أنصار أريق بوكا قطعوا عليه الطريق ببلاد التنكوت ثم لم يلبث أن قتل بأمر من أريق بوكا،الذي أرسل جيشا بقيادة الإبن الأكبر لهولاكو لمحاربة القآان قوبلاي،وأرسل القآان بدوره جيشا بقيادة "ييسنككا"و"ويكه قدان"واندلع أول قتال مسلح في مكان مجهول وخسره أريق بوكا الذي فزع من ذلك[5]

إعتمدت خطة قوبلاي هذه المرة على الحرب الإقتصادية فأغلق الطرق على قراقورم وضرب عليها حصارا إقتصاديا،حيث جرت العادة على أن المؤكولات والمشروبات والمؤونة الازمة تجلب إليها من الصين ومنع قوبلاي ذلك فظهر هناك القحط والمجاعة والعجز[6]

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص248

[2]-عباس اقبال،مرجع سابق،ص181.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص217

[3]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص249

[4]- نفسه،ص249.جون مان ،مرجع سابق،ص124

[5]-بارتولد،مرجع سابق،ص699.الهمذاني،مصدر نفسه،ص250

[6]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص250

واضطر أريق بوكا الى التراجع الى حدود نهر"ينسي"واغتنم قوبلاي الفرصة فقام بتجنيد المزيد من القوات،وخرج على رأس جيشه الى الشمال نحو وسط منغوليا،أما أريق بوكا فقد كان مضطربا وحائرا مع جيش هزيل وجائع،وخشية منه بوصول قوبلاي وجيوشه،ولكسب مزيد من الوقت،بعث برسله إليه معتذرا ومقدما فروض الطاعة،وكان هذا في فصل الشتاء لكنه بعد أن سمن خيوله وأراحها، لم ينفذ كلمته،ولم يف بوعده،فسار مرة أخرى لمحاربة القآان،فالتقى الجمعان على حدود موضع"إيجه كونكر"وانكسر فيها جيش أريق بوكا[1]

وقد كان أريق بوكا قبل ذلك قد أرسل الى تركستان أميرا من نسل جغتاي وهو ألغو بن بايدر بن جغتاي،ليحتل تلك المناطق وليقفل الطريق على هولاكو وبركة إذا ما فكرا في تأييد قوبلاي،وليزوده بالعلف والمؤونة والأسلحة،غير أن ألغو كان يعمل بكل طاقته من أجل مصلحته الشخصية،ولم يكن في نيته البتة تنفيذ رغبات أريق بوكا،فإمتنع عن مساعدته وإرسال المؤونة و السلاح له، فاضطر أريق بوكا الى التخلي عن العاصمة قراقورم التي دخلت في طاعة قوبلاي قآان،واتجه هو لمحاربة ألغو الذي دخل بدوره الى جانب قوبلاي قآان[2]

ومحاولة منه لبسط سيطرته صب أريق بوكا غضبه من سوء ما لحق به من خسائر وإنهزمات،على جنود ألغو ورعاياه من دون ذنب ولا مبالات، وقد ضيق الجند على الأهالي وأرزاقهم،فتعرضوا للمجاعة،وهلك عدد كبير من الناس بسبب ذلك،كما نفقت خيول الجند، ولم يكن الأمراء راضين عن هذا الوضع،فتخلى معظمهم عنه،إضطر بعدها أريق بوكا الى أن يستجيب لطلب قوبلاي قآان،فتوجه اليه عام(662هـ/1264م)معلنا خضوعه مع جماعة من الأمراء،وكما هو الشأن بعد كل حرب أهلية فقد جرت محاكمة العصاة وكبار الأمراء،أعدم عشرة منهم،أما أريق بوكا فقد تشاور قوبلاي وهولاكو بركة وألغو،فعفي عنه وتوفي بعد ذلك بعامين أي عام(664هـ/1266م)[3]بهذا غدا قوبلاي الإمبراطور الأول والقآان الخامس للمغول.

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص252-253

[2]-عن المعارك التي حدثت بين اريق بوكا والغو في التركستان ،والتي كانت السبب في ضعف اريق بوكا، انظر:بارتولد، مرجع سابق،ص700-701.الهمذاني،مصدر نفسه،ص455.البناكتي،مصدر سابق،ص439.فامبري،مرجع سابق،ص190

[3]- الهمذاني،مصدر نفسه،ص259ص260ص261.بارتولد،مرجع نفسه،ص701-702.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص156.جون مان،مرجع سابق،ص126-127.بارتولد شبولر،مرجع سابق،ص49

ب/ الصراع مع الحركات المعارضة

واجه قوبلاي قآان بعد أن إستراح من من فتنة أريق بوكا وشغبه،و التي إستنفذت منه قرابة الخمس سنوات،تمردا أخر من جانب أحفاد اكتاي بقيادة قايدو بن قاشي بن اكتاي[1]،وينحدر قايدو من جهة أمه من قبيلة "مكرين" التي كانت تقطن منطقة جبلية تتاخم بلاد الإيغور،وقد نشأ قايدو بأردو جنكيز خان،وبعد وفاة والده إلتحق ببلاط منكو،ونراه فيما بعد مع أريق بوكا وقد إنحاز إليه خلال النزاع من أجل وراثة العرش،وعرف عليه انه صاحب شجاعة جمع الى موهبة القيادة العسكرية دهاء وتخطيط رجل السياسة البارع[2]

شكلت هذه المعارضة نقطة مهمة بالنسبة لقوبلاي،حيث أن قايدو إستطاع أن يجمع اليه العساكر،وأن يقتطع إمارة من ألوس جغتاي،الذي يقع على الغرب من الصين،وكانت خطورتها تتمثل في مطالبته (أي قايدو)بالإستقلالية على الرغم من إيقانه بأن حركة كهذه لن تكلل بالنجاح،إلا أنها كانت بمثابة الفزاعة التي تقض مضاجع القآان قوبلاي،فقد دامت إنتفاضته الى مابعد وفاة قوبلاي[3]

بداية التمرد عندما رفض قايدو إستدعاء قوبلاي لتتويجه عام(658هـ/1260م)وكان حينها في العشرين من عمره،بحجة واهية قائلا"إن دوابنا هزيلة وعندما تسمن،سوف نمتثل للأمر"وظل يتذرع بهذه الحجة ثلاث سنوات،توفي خلالها قادة المغول الثلاثة الذين كانوا يحكمون في آسيا الوسطى،وإستحوذ خلالها على المزيد من الأراضي هناك[4]

حاول قوبلاي إعادة النظام الى المنطقة عن طريق إرسال ممثلا له على تركستان وهو إبن عمه براق،غير أن براق وبعد أن إستطاع أن يُحكم قبضته على ماوراء النهر،أدار بظهره للقآان،ولم يفت على قوبلاي أن براق لن يكون أداة طيعة في يده وأنه أصبح لزاما عليه أن يتخذ خطوات حاسمة ليحفظ سيادته على تركستان،فأرسل جيشا ليقضي على أمراء آل جغتاي العصاة،غير أن هذه الخطة لم يكتب لها النجاح،ولعل السبب في هذا يرجع الى أنّ قوبلاي كان منشغلا بحربه مع الصينيين ولم

---

[1]-شهاب الدين النويري (733هـ)،**نهاية الارب في فنون الادب**،تح :نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز،ج27،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،دت،ص241.الهمذاني،مصدر سابق،ص263.كليفورد بوزورث،**الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**،تر: حسين علي اللبودي،مؤسسة الشراع العربي ،الكويت،ط2،1995،ص204.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص156

[2]-بارتولد،مرجع سابق،ص706

[3]-جون مان،مرجع سابق،ص240-241.بارتولد:مرجع سابق،ص706

[4]- الهمذاني،مصدر نفسه،ص263.جون مان،مرجع نفسه،ص243

يكن بوسعه إرسال قوات كبيرة الى التركستان،فالأمير"قوينجي"الذي بعثه مع ستة ألاف فارس تقهقر أمام قوات براق[1]

إستغل قايدو الأحداث ليضع يده على جميع الأنحاء الى"تلاس"،ولما كان براق يخشى مهاجمته لما وراء النهر فقد زحف لقتاله،ووفقا لرواية رشيد الدين فإن النصر كان حليف براق في أول معركة بينهما،ولم ترجح كفة قايدو إلا فيما بعد حينما دُعم بخمسين ألف مقاتل[2]

وفي العام (667هـ/1269م)عُقد مؤتمر سلام في "تلاس"،حضره حكام التركستان المستقلين،منهم براق وقايدو،وقد قصدوا بذلك تقسيم بلاد ماوراء النهر،إلا أنهم مالبثوا بعدها أن دخلوا في معارك وصراعات،توفي خلالها براق وحوّل قادته ولائهم الى قايدو،ومعهم ثلاثين ألف جندي،ونتيجة لهذه التطورات،جرى في عام(669هـ/1271م)تتويج قايدوا ذو الواحد والثلاثين سنة،لدولة تمتد من نهر أمودريا في الغرب حتى مدينة تشينغ يانغ(تركستان الشرقية)،في شرق البلاد،ومن بحيرة بلكاش شمالا الى تيان شان[3]

في عام تتويج قايدو إتخذ قوبلاي قآان إجراءات بهدف إذلال القائد المتوج حديثا، فأرسل إليه وفدا من الأمراء بقيادة إبنه الرابع نوموغان[4] الى أراضي قايدو لإقناعه بالحضور الى البلاط،لكن قايدو لم يأبه بذلك وقام بحفظ جيشه وإجتهد في تأمين حدوده الغربية،ولم يكن لنوموغان سلاح فرسان كاف لشن هجمومهم،وإستمرت هذه الأزمة خمس سنوات دون جدوى[5]

وكان لطول المدة أن ظهرت نزعة التمرد حيث سعى توقتيمور–وهو احد القادة–لتحريض شيركي –وهو إبن منكوقآان–على إستعادة ملكه قائلا"إن الملك حق لك،وأن القآان قد جار علينا وعلى إخوتنا"واستطاع خديعته،فألقوا القبض على نوموغان وقادته،وبعثوا نوموغان و أخوه كوكوجو الى القبيلة الذهبية،وباقي القادة الى قايدو،عارضين عليه الصلح والتحالف،لكن لم يطل عهدهم وسرعان

[1]–بارتولد،مرجع سابق،ص708.فامبري ارمينوس،مرجع سابق،ص192

[2]–بارتولد،مرجع نفسه،ص708

[3]–جون مان،مرجع سابق،ص244-245

[4]–الامراء الذين سيرهم قوبلاي قاان مع ابنه نوموغان،هم امراء الميمنة والميسرة وشريكي من ابناء منكو قاان،وببوغور وملك تيمور من ابناء اريق بوكا،وتوقتيمور بن سوتوكتاي واوروقتاي من ابناء اخوة القاان،وجراقو بناوتحكين من بني اعمام القاان.انظر:الهمذاني،مصدر سابق،ص263

[5]–جون مان،مرجع نفسه،ص246

ما إقتتلوا فيما بينهم،وانفض الجند من حولهم راجعين الى حضرة القآان،وأُعيد بعدها نوموغان وباقي القادة الى الصين[1]،وفي تلك الأثناء كان قوبلاي غارق حتى أذنيه في الحرب على إقليم سونغ والتي تواصلت حتى عام(1279م)وفي غضونها تنازل عن محاولاته للسيطرة على مناطق قايدو النائية[2]

وبعد أن توطد سلطان قايدو على أغلب آسيا الوسطى،وأصبح من القوة بمكان،توجهت إليه أنظار الخارجين عن السلطة،كونه الحليف القوي المتمرد على سلطان القآان،أرسل إليه معارض أخر من شمال الصين لعقد تحالف ضد قوبلاي قآان،وظهرت المعارضة هذه المرة من الشمال فتمثلت في شخص "نايان نويان"من أسرة طغجار نويان[3]وهو إبن حفيد أوتجكين أخو جنكيز خان[4]وتعود فترة حكمهم في شمال الصين الى عهد جنكيز خان الذي أقطع اخوه أتجكين وأحفاده من الأمراء تلك الأقاليم،في سياق توزيعه للأراضي التي فتحها في عهده[5]

ووفقا لرواية رشيد الدين فإن تمرد نايان حدث عام (688هـ/1289م) مع بعض الأمراء الأخرين الذين تغيرت قلوبهم من جهة القآان على حد تعبير رشيد الدين،وقد كان قوبلاي قد بعث جنودا لكن أعدائهم ضغطوا عليهم[6]

وبحكم الأراضي الشاسعة التي كانت تحت حكم نايان،والمتمثلة في المدن الكثيرة،إضافة لما كان يتمتع به نايان من سماحة وكرم مفرط،إستطاع أن يجمع من حوله قوة جبارة يبلغ تعداد جيوشها أربعمائة ألف فارس كما يحدثنا بذلك ماركو بولو[7]وهو الأمر الذي دفع به لنبذ ولائه والطمع في منصب الخانية،وبهدف تحقيق ذلك أراد التحالف مع قايدو،الذي وعده بأن يقدم له المساعدة ويمده

---

[1]–الهمذاني،مصدر سابق،ص265وما بعدها

[2]– جون مان،مرجع سابق،ص247

[3]– **نويان** جمعها نويد وهي رتبة الامراء الذين يمثلون اعلى طبقة الارستقراطية في تنظيمات المغول،وهي الرتبة العسكرية الاعلى يحملها امراء الاسرة المالكة،ويتوارثونها فيما بينهم،انظر:بارتولد،مرجع سابق،ص551

[4]–الهمذاني،مصدر نفسه،ص294

[5]–الجويني،مصدر سابق،ص79

[6]–الهمذاني ،مصدر نفسه،ص294

[7]–**ماركو بولو** الرحالة الشهير الذي زار بلاط قوبلاي سنة(675هـ/1275م)رفقة ابيه نيكولو وعمه مافيو،من اهالي البندقية،وقد اعجب قوبلاي بماركو بولو واتخذه مستشارا له بعد ان توسم فيه النبوغ والذكاء،واستمر يعيش في بلاط قوبلاي حتى سنة(692هـ/1292م)فامضى بذلك نحو سبع عشر سنة في الشرق الاقصى،وتعد رحلته من اهم مصادر دراسة تاريخ المغول.انظر:عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص224

بجيش مؤلفا من مائة ألف فارس،لكن ذلك لم يكن في الإمكان تنفيذه لأن قوات قوبلاي قآان سارعت الى غلق منافذ الإتصال بينهما[1]

وبما أن قوبلاي لم يعد بأمكانه خوض غمار القتال بنفسه،وأصبح يسير قواته برفقة أبنائه وأمرائه،وذلك لأنه ربما قد شاخ وضعف كما يقول رشيد الدين[2]إلا أنه أدرك هذه المرة بأن نايان وتمرده يعد خطرا عليه،ربما أخطر من تمرد قايدو،فنايان يمتلك من القوة والتأييد من شعبه ما يأهله أن يطالب بمنصب القآان،لذلك أخذ يستعد لحربه بنفسه،فأصدر الأوامر بأن تحشد جميع القوات على مسيرة عشرة أيام،فبلغ عددها ثلاث مائة وستين ألف فارس،إضافة لمائة ألف من المشاة،وتعد هذه عملية حشد ضخمة إستغرقت عشرين يوما،وضُربت عليها السرية وذلك ليتمكن من سرعة المباغتة والمبادرة للإنقضاض على قوات العدو[3]

ولعل قوبلاي أراد بعملية الحشد الكبيرة هذه التي توفرت له بعد أن تم له الإستيلاء على أقاليم الصين الجنوبية، والتي بذل فيها جهودا كبيرة إستغرقت حوالي عشرين سنة للقضاء على أسرة سونغ عام(678هـ/1278م)[4]قد أخذ درسا من بعثته التي أرسلها للقضاء على تمرد قايدو، والتي فشلت وسببت له التنازل عن أقاليم واسعة لصالح عدوه،ولعله أيضا أراد بذلك أن يعطي درسا عسكريا للقادة الأمراء،رغم كبر سنه قد بلغ الخامسة الثمانين من عمره فقد تحركت فيه نزعته القيادية العسكرية

تقدمت قوات قوبلاي قآان نحو ممتلكات نايان،وتمكن بعد الزحف الشاق المتواصل ليلا ونهارا،من بلوغها بعد خمسة وعشرين يوما،ولم يتمكن طوال هذه المدة تسريب أخبار تحرك هذه الحملة الى نايان،حيث جرت حراسة الطرقات جميعا،وعند الوصول الى سلسلة تلال معينة،يقع من الجانب الأخر منها السهل الذي يعسكر فيه جيش نايان،أخذت قوات القآان يومين للراحة وإستجماع طاقاتها بعد السير الطويل[5]

---

[1]-ماركو بولو،**رحلات ماركو بولو**،تر: عبد العزيز جاويد،ج2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1996،ص12

[2]-الهمذاني،مصدر سابق،294

[3]-ماركو بولو،مصدر نفسه،ص13

[4]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص267وما بعدها.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص218.عباس اقبال،مرجع سابق،ص182.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص168

[5]- ماركو بولو،مصدر نفسه،ص14

في المقابل كانت قوات نايان غير مستعدة،وتفتقد حتى الى قوات متقدمة او إستطلاعية،فحتى نايان نفسه لم يكن في تصوره وصول جيوش القآان بهذه السرعة،على فرض أنه عرف بوقت تحركها،فقد تملكه الذعر عندما طلعت عليه قوات قوبلاي،وتفجع من عدم وصول قوات قايدو،فسارع الى تنظيم جيشه على الوجه الذي إقتضته الظروف[1]

يفيد ماركو بولو الى أنّ قوبلاي قآان كان يدير المعركة من على قلعة محمولة على ظهر أربعة أفيال[2]،فيما يروي رشيد الدين أنها كانت محمولة على ظهر فيل[3] تحمي أجسامها أغطية من الجلد الغليظ الذي أكسبته النار صلابة،وأُسبلت عليه أستار من قماش الذهب[4]ولم تجر العادة قبل ذلك أبدا بإستخدام الفيلة في الصين،لا في معترك القتال ولا مواطن الإستعراض،لكن لابد وأنه في أثناء العمليات التي قادها قوبلاي وهو قائد في جيش أخيه،بولاية يونان وفي أقطار أخرى تكثر بها الفيلة قد عرف منفعتها،ففي عام (1283م)أخذ عددا منها بعد هزيمته لأحد الملوك واستخدمها في جيوشه[5]

وبخصوص المعركة التي جرت بين قوبلاي ونايان يقدم ماركو بولو وصفا لجيوش قوبلاي من حيث عددها وكيفية تشكل كتائبها،وخطة قوبلاي في تسيير المعركة،مع تفصيل لمجرياتها،بداية من النفخ على أعداد هائلة من الألات ومن الصنوج والطبول،لإلقاء الذعر في قلوب العدو،ويصور بدايتها بأمر من القآان،الى إمتلاء الجو بالسهام،وسقوط عدد هائل من الرجال والخيول،تخيل ما يقارب المليون من الجنود بأسلحتهم وصيحاتهم مع جلبة الخيول واصطكاك الأسلحة وما يحدثه ذلك الالتحام من اكوام الجثث المتراكمة على مدار يومين،وتزيدها توقدا حمية شعب نايان الذين فضلوا الموت دونه،لكن في نهاية المطاف أسر نايان وأعدم،وعاد القآان في موكب نصر فخم[6] وبعد أن إستسلم جنود نايان فرقهم قوبلاي قآان ووزعهم على الأقاليم لتشتيتهم[7]وبهذا انتهت عمليات التمرد والمعارضة التي شكلت خطرا حقيقيا على حكم قوبلاي الذي قارب على الوفات وكان ذلك عام(694هـ/1294م)

[1]-ماركو بولو، مصدر سابق،ص14

[2]- نفسه،ص15

[3]-الهمذاني، مصدر سابق،ص294

[4]-ماركو بولو، مصدر نفسه،ص15

[5]- نفسه،ص207

[6]- نفسه،ص15-16

[7]-الهمذاني، مصدر نفسه،ص294

المبحث الثاني: الصين خلال عصر سلالة ايوان

اولا: عهد قوبلاي قآان (658-694هـ/1260-1294م)

تعود البدايات الأولى لتواجد قوبلاي في بلاد الصين الى عهد اكتاي (626-638هـ/1229-1241م)الذي أقطع عائلة "تولي" أقاليم من الصين الشمالية،بعد مطالبة "سيورقتيتي بكي"والدة قوبلاي بأجزاء من أقاليم "هيبي" الصينية حيث سافرت إليها هي وعائلتها،وكان قوبلاي أنذاك يبلغ من العمر واحد وعشرين سنة،وإستطاع في سنه هذا أن يحصن إقليما به حوالي عشرة ألاف منزل،تولى حكمه وتسييره بنفسه،وبما أنه كان لايزال صغيرا على الإهتمام بالحكم بالشكل الصحيح،أطلق العنان لموظفيه الذين أفسدوا في ممتلكاته،ولكن سرعان ما تدارك الأمر وأمر بإجراء إصلاحات أعادت الأمور الى ما كانت عليه[1]

وفي فترة خانية منكو (647-655هـ/1250-1259م)عهد الى قوبلاي بحكم أقاليم واسعة وولايات أكثر في الصين،وتم تعيينه كحاكم عام عليها[2]وجاء ذلك بعد أن طلب قوبلاي من أخوه منكو أن يمنحه مسؤوليات أكبر في شمال الصين،وبالضبط إقليمي"شانشي"و"هنان"وقوبل هذا الطلب بالإستجابة من طرف منكو بعد أن أدرك ما لأخيه من مؤهلات تسمح له بحكم تلك الأقاليم[3]

خلال فترة منكو كان قوبلاي الشخصية الأبرز بين أمراء المغول،وخاصة بعد قيادته للعمليات العسكرية في أقاليم سونغ الجنوبية،إستطاع من خلالها إكتساب سمعة وصيتا،وولاءً من جيوش الإمبراطورية،إضافة الى كسبه لأهالي الصين،بعد أن إتخذ منهم مستشاريه،وكانت هذه المقدمات الأولى لحكمه للصين

لما توفي منكو كان قوبلاي لايزال داخل أراضي أقاليم سونغ الجنوبية يقود العمليات العسكرية التي بعث بها منكو،وكان عند سماعه لذلك قد بلغ النهر الكبير المسمى"خوي خو"وبعد بلوغه نبأ الوفاة تشاور مع قائده والرجل الثاني "باتور بهادر نويان"الذي يعود نسله الى عائلة عسكرية بارزة فهو حفيد القائد "موخولي" وقررا إستكمال عملياتهما العسكرية وعدم الإلتفات الى الخبر،عبرو بعدها نهر "الكنك" أو"اليانغتسي"بالغين مدينة "أوجو"أو"وتشانغ"التي حاصروها ولحقت بهم قوات "أوريانغ

---

[1]- جون مان،مرجع سابق ،ص33-34

[2]- الهمذاني،مصدر سابق،ص271.حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الاسلام السياسي**،ج4،دار الجيل ،بيروت، ط14،1996،ص149

[3]-جون مان،مرجع نفسه،ص45

كداي"[1] لكن أنباء محاولة أريق بوكا الإستيلاء على منصب الخان عجلت برجوع قوبلاي الى الشمال[2]،ليدخل بعدها في الصراعات على منصب القآان،على النحو الذي فصلنا فيه سابقا

أ/توحيد بلاد الصين

بعد أن تخلص قوبلاي من منافسه أريق بوكا،وأخضع المعارضين لسياسته،قرر إستئناف تنفيذ خطط المغول العامة في التوسع على حساب أسرة سونغ في جنوبي الصين لإخضاعها،وبذل في هذا الميدان جهودا كبيرة إستغرقت نحو عشرين عاما،برز خلالها الأمير المغولي "بايان كوكوجو"،وهو من قبيلة بارين،الذي أخذ على عاتقه إخضاع المقاطعات الصينية الجنوبية،كما برز الأمير"أجو"حفيد "سوبتاي"كقائد محترف عمل تحت قيادة "بايان"[3]

مثلت مدينة "شيانغ يانغ" إشكالية الدخول لإقليم سونغ الذي كان مفتاح توحيد الصين،فواجه المغول عند محاولتهم فتح إقليم الجنوب هذه المدينة الحصينة بنهر "اليانغتسي" الكبير وكذلك نهر "الهان" من الشمال،لذا لزم على قوبلاي لتجهيز جيوشه قرابة تسع سنوات أي منذ أن سحب قواته من الجنوب،وفي العام(1268م)[4] تحركت جيوش المغول بقيادة "أجو" و"بايان" ويفيد رشيد الدين الى أن تعداد هذه القوات بلغ ثلاثمائة ألف جندي مغولي وثمانمئة ألف جندي صيني[5]

إستغرقت محاصرة مدينة "شيانغ يانغ" قرابة الخمس سنوات،وإستعصت على المغول لمناعتها،وإستنزفت منهم طاقات هائلة في محاولة لدك أسوارها المنيعة جدا،وكان على قوبلاي لحل هذه المشكلة أن يستخدم أسلحة جديدة تستطيع مواجهة الأسوار الصخرية التي تحصن "شيانغ يانغ" ولكن السؤال من أين له ذلك؟فتوجهت أنظار قوبلاي الى الغرب ليتواصل مع أفضل مصممي ألات دك الأسوار،فوجد ضالته في شخص "اسماعيل"ومساعده "علاء الدين" الذين قادا فرق العمل المكلفة بصنع المنجنيق،وتم لهم ذلك عام(1273م) وتمت تجربته على مدينة تابعة "لشيانغ يانغ" وهي مدينة"فانشينغ"،حيث أثبت فعاليته في اختراقها، وإجتاحتها قوات المغول بعد أن دكت أسوارها

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص225-226.جون مان،مرجع سابق،ص115

[2]-الهمذاني، مصدر نفسه،ص244

[3]-سهيل طقوش، مرجع سابق،ص167

[4]-جون مان،مرجع نفسه،ص176

[5]-الهمذاني، مصدر نفسه،ص268

بالمنجنيق الإسلامي الذي صنعه "اسماعيل" و"علاء الدين"[1]،مما أجبر مدينة "شيانغ يانغ" على الإستسلام بمجرد ضربة واحدة هزت أركان أسوارها[2]ونلاحظ أن "إسماعيل" و"علاء الدين" قد عينا بعد فتح المدينة في وحدة المدفعية التي كونها العرب المسلمون كوحدة ضاربة في الجيش المغولي،ورقيا بعد ذلك الى مركز عسكري لايشغله في الغالب إلا المغول وهو منصب قائد عشرة ألاف مدفعجي،ويورد كتاب تاريخ أسرة إيوان عددا من أسماء أبنائهم وأحفادهم الذين ورثوا مواقعهم،نذكر منهم فوزي ومحمد والحسن وإبراهيم وغيرهم[3]

بعد أن فتح المغول مدينة"شيانغ يانغ" البوابة نحو الجنوب،إنساحت قواتهم داخل أراضي سونغ الجنوبية،حيث ترددت أنباء سقوط المدينة في العاصمة"هانغتشو"،واجتاز المغول نهر "الهان" متجهين نحو نهر "اليانغتسي"وتم لهم في الطريق الإستيلاء على بعض المدن والقلاع كقلعة "يانغ لو"،وعلى إثر هذا التقدم إحتشدت قوات السونغ بقيادة "جيا سيداو"على ضفاف نهر "اليانغتسي" وفي معركة على النهر انهزمت فيها جيوش السونغ[4]

وفي هذه الأثناء واصل "بايان" تقدمه وانتصارته،فاستسلمت بعض المدن التي عين عليها حكاما محليين من أجل الإستقرار،وعلى مدار أربعة أشهر فتح "بايان" مفاوضات مع "هانغتشو" لكنها تعرقلت،وكان "بايان" يسعى الى مواصلة الغزو إلا أن إستدعاء قوبلاي له لأن تمردا حدث في الشمال أوقف الغزو،إستردت بعدها السونغ بعض المدن،فاستعادها "أجو"منهم،وبعد عودته قرر "بايان" أن يقوم بهجوم نهائي على مدينة"تشانغتشو"مفتاح الجزء الجنوبي لقناة النهر الكبرى،فسقطت في أيدي المغول فقد اقتحم "بايان" المكان وأمعن تقتيلا بالجنود والمدنيين وتدمير كل شيئ لمدة يومين[5]

وقعت هذه المذبحة على مقربة من العاصمة "هانغتشو"بهدف دفعها للإستسلام،وكان لهم ذلك عندما سعت الإمبراطورة "شيه" التي كانت تحكم بالوصاية على الإمبراطور "شاو-زيان"الى التسوية بدفع جزية وتقسيم البلاد مع تكريم قوبلاي،إلا أن "بايان" رفض التسوية مخيرا إياها بين الإستسلام

[1]-كما يذكر رشيد الدين حادثة تم فيها الاستعانة بمصممين مسلمين للمجانيق والالات الحربية،من بلاد الشام بعلبك ومن دمشق،وسماهم ب"طالب"صانع المنجنيق وابنائه ابو بكر وابراهيم،انظر:الهمذاني،مصدر سابق،ص282

[2]-جون مان،مرجع سابق،ص184-198

[3]-احمد جعفر كرار،**دراسة حول الاسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين**،مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،العدد2،2007،ص64

[4]-جون مان ،مرجع نفسه،ص207-209

[5]- نفسه ،ص210

أم الحرب،فاضطرها في الأخير عام(669هـ/1276م)للإعتراف بسيادة قوبلاي على أراضيها،وبهذا إنتهت أسرة سونغ في الجنوب[1]،هذا في رواية

وفي رواية أخرى عندما إستردت قوات المغول مدينة "كانتون"و"شاو شو"طاردت قوات المغول الإمبراطور الصيني الذي راح يتنقل من مكان لأخر حتى أوى الى جزيرة"كانغ شو"حيث توفي(671هـ/1278م)وعمره إحدى عشر سنة،فعين القادة الصينيون أخاه الأصغر"واي وانغ"إمبراطورا وإتخذ إسم "تي بينغ"فطارده المغول ففر منهم على سفينة عبر النهر،الذي كانت مياهه ضحلة،فلم تستطع سفنهم مواصلة الإبحار،وحتى لايقع في أيدي المغول رمى بنفسه في النهر مع أحد وزرائه يدعى "ليو-سيو-فو"فغرقا معا،وانتهت على هذا الشكل أسرة سونغ[2]

ومما هو جدير بالذكر هنا أن أقاليم الصين برمتها كانت مقسمة منذ سنة (907م)الى قسمين شمالي وجنوبي،فصارت متحدة تحت حكم خان المغول"قوبلاي" وكما يقول ماركو بولو"يعتبر قوبلاي قآان أول سلطان مغولي يحكم كل الأقاليم المذكورة،وقد تمت الوحدة الصينية لأول مرة على يد هذا الخان بعد مرور 380سنة"[3] من الإنقسام.

ب/إصلاحات قوبلاي قآان

إتسعت الإمبراطورية المغولية وبلغت ذروة الإتساع أثناء حكم قوبلاي قآان(659-694هـ/1260-1294م)فقد تضمنت بالإضافة الى الصين كوريا والهند الصينية والتبت والهند الى حدود نهر"الكنج" وإيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءا كبيرا من روسيا الى حدود نهر الدنبير[4]

وكان على قوبلاي ليتمكن من حكم هذه الإمبراطورية المتسعة أن يُوجد نظام يستطيع أن يحتوي به تلك الأعداد الكبيرة من الناس المشكلة للإمبراطورية بشكل عام والصين بشكل خاص،فالصين لوحدها تحتوي على تنوع بشري هائل ليس في العدد فحسب،ولكن في الجنسيات والأعراق والإثنيات المختلفة،فبالإضافة الى الصينيين هناك المغول أصحاب السلطة،والمسلمين من عرب وأتراك وفرس،ومسحيين أوربيين وغيرهم،لذلك عمل المغول على فرض تقسيم للمجتمع الى أربع طبقات أو

[1]-جون مان،مرجع سابق،ص211-213

[2]-سهيل طقوش،مرجع سابق،ص168

[3]-عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص218

[4]-ادوارد براون،مرجع سابق،ص569

مجموعات بإمتيازات مختلفة،فالتقسيم كان كالتالي الطبقة الأولى حازها المغول أنفسهم الذين يتمتعون بكافة الإمتيازات،والثانية لمساعديهم من الأجانب مسلمين عرب وفرس وأتراك ومسحيين أوربيين وغيرهم،والطبقة الثالثة للخطائيين وهم سكان الصين الشمالية،والرابعة سكان الصين الجنوبية[1]

وهكذا وجد الرعايا من غير الصينيين موقعا متقدما في السلم الإجتماعي،وبالتالي تم الإعتماد عليهم كذلك في إدارة الإمبراطورية،ففي الصين المتفوقة حضاريا وثقافيا،أدرك المغول الذين كانوا أقل حضارة منهم،أنهم تعوزهم الخبرة والعدد الضروريان لحكم الصين،فكان عليهم إستقطاب أصحاب الخبرات والمهارات الإدارية والسياسية من الأجانب وتعيينهم في المراكز الإدارية كحكام للأقاليم ووزراء كبار ومستشارين داخل البلاط المغولي[2]وحظي المسلمين بصفة خاصة بمكانة سامية،وتبوؤوا مناصب رفيعة في الدولة فتحدثنا المصادر التاريخية عن السيد الأجل[3] الذي قلده قوبلاي منصب الوزارة،فيما ولى أبنائه وأحفاده ولاية "قراجانك"أو محافظة"يونان"،كما وزر من بعده أحمد الفناكتي،والوزير الإيغوري "سنكه"وغيرهم كثير[4]

وعلى ضوء ماورد عند رشيد الدين،فإن التنظيمات الإدارية بلغت غاية في الدقة،فأنشأت الدواوين ونظمت وقام عليها موظفون من الدولة يختارون وفق معايير محددة،وعينوا على مراتب كما أطلقت عليم ألقاب معينة وفق وظائفهم التي يشغلونها،وأهتمت هذه الدواوين أيضا بإدارة أمور القضاء و الجيش وتسير شؤون الأقاليم كرفع المظالم وجباية الضرائب،كما قسمت الصين الى 12إقليم أو مقاطعة،يحكم ثمان منها حكام مسلمين[5]

ونظم قوبلاي خدمة البريد تنظيما دقيقا أثار إعجاب الرحالة ماركو بولو الذي ترك لنا وصفا مفصلا عن محطات "اليامب"أو محطات البريد،والتي هي عبارة عن أبنية ضحمة وجميلة،ممتدة على

---

[1]-جعفر كرار،مرجع سابق،ص22.هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص245

[2]-ايمي شوا،مرجع سابق،ص182

[3]-**السيد الاجل** هو اسم شهرة،اكتسبه الرجل لشدة ما عرف عنه من نزاهة وفطنة وكفاءة،واسمه الحقيقي عمر شمس الدين،قدم الى الصين من بخارى منذ عهد جنكيز خان حيث دخل في طاعته،وتولى الوزارة في عهد قوبلاي لمدة 25سنة،كما ولاه على مقاطعة يونان،كما عرف عنه انه سياسي واداري ماهر،وقد اسهم مساهة كبيرة في الحياة الصينية هو وابنائه واحفاده من بعده،لما قدموه من اصلاحات وخدمات للدولة والشعب،للتفصيل اكثر انظر:فهمي هويدة،**الاسلام في الصين** ،ص52وما بعدها.جعفر كرار،مرجع نفسه،ص51

[4]-الهمذاني،مصدر سابق،ص283-284ص289.جعفر كرار،مرجع نفسه،ص27.عباس اقبال،مرجع سابق،ص183.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص222

[5]-الهمذاني،مصدر نفسه،ص274ومابعدها

طول الطرق الكبيرة،على مسافة خمس وعشرين او ثلاثين ميلا بين المحطة والأخرى،تم إعدادها خير إعداد،وبالإضافة الى أنها محطات للراحة مجهزة بأجنحة للمبيت،مزودة بكل وسائل الراحة[1]،فإن دورها الأساسي كان لنقل الأخبار والمعلومات،كما كان عمال البريد بمثابة عيون للأمبراطور[2]

لذلك يقرر ماركو بولو أن محطات البريد كانت منظمة ومرتبة،ومزودة بالمعدات الازمة من خيول والتي تبلغ الأربعمائة جواد لكل محطة في حالة إستعداد دائمة يستخدمها المبعوثون للتنقل عليها[3]،ووفقا للتاريخ السري فإنه كانت هناك فضلا عن الخيل،كان يوجد بكل محطة عشرون جملا،كما كان يوجد عددا من الثيران المخصصة لجر العربات[4]وكذلك أُستخدمت القوارب التي تعبر الأنهار والبحيرات ويتم تخصيصها لهذا الغرض أساسا[5]

وقد بلغ عدد الأحصنة المستعملة في دائرة البريد حسب رواية ماركو بولو مائتي ألف حصان،وعدد الأبنية عشرة ألاف مبنى مزودة بالأثاث الازم،كما تم انشاء القرى والمساكن قرب كل محطة من أجل تزويدها بالمؤن الازمة من الأغذية والأثاث،وكذلك الماشية والخيل،وينزل بها السعاة وعمال البريد،وضباط المراقبة والكتبة[6]،وكل ذلك من أجل تسهيل عمليات تسيير البريد وتوفير الخدمات الازمة لتلك المحطات الهائلة والتي بلغت درجة كبيرة من التنظيم والعمل،وكانت عبارة عن شبكة من المواصلات التي تربط الأجزاء البعيدة من الامبراطورية الشاسعة

وأهتم قوبلاي أيضا بالتجارة إهتماما كبيرا،فمهد الطرق وأنشا طرقا أخرى جديدة،وأقام عليها حراسة قوية،فكانت قوافل التجار تروح وتجيئ في أمن وسلام[7]وأدت السياسة التي أقامها المغول دورا هاما في تاريخ العلاقات التجارية بين الشرق والغرب فقد بنى المغول سياستهم على أساس فتح أبواب

[1]–ماركو بولو، مصدر سابق،ص69

[2]–سهيل طقوش،مرجع سابق،ص174.عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص219

[3]–ماركو بولو،مصدر نفسه،ص69

[4]–عبد الرحمن فرطوس،**البريد عند المغول**،مجلة كلية الاداب جامعة بغداد،العدد80،العراق،2007،ص6

[5]–ماركو بولو،مصدر نفسه،ص73

[6]– نفسه،ص70ومابعدها

[7]–عبد المعطي الصياد،مرجع نفسه،ص219

التجارة والطرق التجارية للجميع،وتأمين سلامة ممتلكاتهم فيما سمي بالسلام المغولي،منذ منتصف القرن الثالث عشر الى القرن الرابع عشر[1]

كذلك إزدهرت التجارة البحرية وتحولت مدن المرافئ الصينية الى مراكز رئيسية للإستيراد والتصدير،حيث تخصصت مدينة"هانغتشو" في تجارة السكر وتصدير الحرير الى الهند والعالم الإسلامي،ومدينة"يانغ تشو" في تجارة الأرز،وأما مدينة زيتون"التي تسمى اليوم كوانزو" فقد تخصصت في تجارة اللآلئ والأحجار الكريمة،في حين إشتهرت "فوكيان"بصناعة الأواني الصينية[2]

كما أُحدثت أقنية بين خان باليق"بكين"و"هانغتشو"،وكانت القناة الكبرى التي شقها المغول تمتد الى مسافة 1100ميل،وكانت تصل من الناحية الإقتصادية بين شمال الصين وجنوبها،كذلك كانت المراكب التجارية تبحر غالبا باتجاه فيتنام وسيلان وجنوب الهند ،وتقفل عائدة وعلى متنها كميات كبيرة من السكر والعاج والقرفة والقطن،وإزدهرت التجارة العالمية البرية والبحرية بين بلاد الصين وبلاد فارس التي يسيطر عليها المغول وآسيا الوسطى وأوربا بشكل لم يسبق له مثيل[3]

كما انه لايفوتنا الحديث هنا على الصفقات التجارية التي نشطت في الصين بفضل إستعمال النقد الورقي المعروف ب"الجاو"و يحدثنا مركو بولو عن وجود دار لسك النقود تابعة للقان،تعمل على صنع أوراق نقدية من لحاء أشجار التوت،تقطع على شكل مربعات وتختم بخاتم ملكي،لتكتسب الصفة الشرعية التامة كعملة متداولة،ويعد تزويرها أو رفض قبول التعامل بها جريمة كبرى عقوبتها الإعدام[4]،ولتنشيط الحركة التجارية داخل الصين فإنه يتم فرض التعامل بهذه العملة حتى على الأجانب الذين لا يتعاملون في أقاليمهم بها،وذلك بإعادة صرفها داخل الصين بإقتناء السلع الصينية وإعادة بيعها في أقاليمهم[5]،وتعد هذه سياسة بارعة في تنشيط التبادل التجاري

بالإضافة الى هذا كان القآان قوبلاي ميالا الى التشييد والتعمير،فأقام مدينة كبيرة بجوار العاصمة "خان باليق" أو"بكين "[6]وكانت خان باليق عاصمة للخطا وتدعى باللغة الخطائية"جونكدو"-ونجدها

---

[1]-سهيل طقوش،مرجع سابق،ص176

[2]- نفسه،ص177.ايمي شوا،مرجع سابق،ص184

[3]-ايمي شوا،مرجع نفسه،ص185

[4]-ماركو بولو،مصدر سابق،ص64.حول ورق الجاو انظر كذلك:القلقشندي،مصدر سابق،ص484

[5]- نفسه،ص65

[6]-عبد المعطي الصياد،مرجع سابق،ص220

أيضا زانغدو او شنغدو–التي إتخذها قوبلاي مشتى له في عهد أخوه منكو،وقد شيدت المدينة–اي زنغدو–في قديم الزمان بناءا على إختيار المنجمين والحكماء،ولأن جنكيز خان كان قد دمرها أراد قوبلاي أن يعمرها،فبنى بجوارها مدينة أخرى،سميت"داي دو" –التي أصبحت العاصمة–[1]ويذكر ماركو بولو أنه كان يفصل بين المدينتين الجديدة والقديمة نهر جار،وتم إجلاء الناس إليها ولأنها لم تكن قادرة على إستيعاب نفس العدد الذي تتسع له الأولى تم الإبقاء على بعض السكان وسمح لهم بالمكوث فيها[2]

وتصف لنا المصادر الشكل الذي بنيت عليه هذه المدينة، حيث يقول ماركو بولو أن شكل المدينة الجديدة مربع تماما،وقد جرى تخطيط المدينة برسمها بطريقة منتظمة فصارت الشوارع على إستقامة واحدة وتقوم على كلا الجانبين في الشوارع العامة الأكشاك والدكاكين،أما الأراضي التي شيدت عليها المساكن فهي مربعة محاذية بعضها البعض على إستقامة خط واحد،حيث أصبح داخل المدينة مقسما الى مربعات تماثل لوحة الشطرنج[3]

كما يصف لنا رشيد الدين أسوار المدينة وأبراجها السبعة عشر التي بنيت على ظاهرها عمارات مزينة ببساتين وحدائق ذات أشجار مثمرة،إضافة الى قصر القآان الذي شيده داخل المدينة وأسماه"قرشي" وكان في غاية العظمة والروعة والنظافة،فأعمدته وأرضياته كلها من الرخام والمرمر،مقسم الى أربعة أقسام،قسم خارجي للبلاط والتشريفات والداخلي للإجتماعات والثالث للحرس والرابع للخاصة[4]

وجديرا بالذكر أن اللمسة المعمارية الإسلامية كانت حاضرة بقوة من خلال المهندس العربي المسلم العربي "إختيار الدين" أو"يحي طاهر"[5]الذي لم تذكر المصادر الرسمية الصينية إسمه،وقد عُلم عنه بفضل مخطوط حصل عليه،يبين المهمة الكبيرة التي إضطلع بها في تصميم وتخطيط العاصمة الجديدة"داي

[1]–الهمذاني،مصدر سابق،ص271

[2]–ماركو بولو،مصدر سابق،ص32

[3]– نفسه،ص33

[4]–الهمذاني،مصدر سابق،ص272

[5]–يرى جعفر كرار المختص في تاريخ المسلمين في الصين ان اسمه "يحي طاهر"وهو الاقرب الى الاسماء العربية،ويتسق ايضا مع توثيق المصادر الصينية لجذور الرجل الذي لا يختلف المؤرخون الصينيون على جذوره العربية بينما "اختيار" او "باختيار" هما من الاسماء الايرانية او من اسيا الوسطى،ونادرا ما يستخدم العرب هذه الاسماء،وبذلك يكون اسم يحي طاهر متسقا مع منظومة الاسماء العربية والاقرب صوتيا للترجمة الصوتية للاسم الذي كتبه احفاده على نصب تذكاري له، انظر جعفر كرار،مرجع سابق،ص59

دو"[1]وتولى"اختيار الدين" "يحي طاهر" مهمة وزارة الشؤون الهندسية مع الوزيرين "تشانغ رو"و"دوان تيان يو"في تنفيذ إنشاء مدينة القصور الملكية في العاصمة بكين،وكان الوزيران يعملان تحت قيادته ويبدو أنهما كانا من كبار الضباط العسكريين مهمتهما الحراسة ومراقبة المشروع،فيما تولى اخيار الدين كافة الأعمال الفنية للمشروع من التصميم الى التنفيذ،وانجز المشروع سنة(1274م)واصل بعدها إختيار الدين مهمته في الوزارة ذاتها،وتوارثها أبنائه من بعده،حيث تولاها إبنه"محمد شاه"ثم من بعده"مبارك شاه"ثم حفيده"ميزي شاه"وساهموا مساهمة عظيمة في الأعمال الهندسية والمعمارية للبلاد[2]

أما في مجالي العلوم والثقافة فقد عمل قوبلاي على تنشيط الحركة العلمية والثقافية،من خلال تشجيع العلماء والمفكرين وحتى الأدباء والشعراء،فأنشأت المدارس الحكومية ذات التعليم العالي،كالمعهد الذي أسسه الفلكي المسلم "جمال الدين"بطلب من الحكومة،وهو عبارة عن مرصد فلكي متطور،مجهز بأجهزة فلكية أحضرها جمال الدين،يذكرها تاريخ أسرة إيوان مثل المنوأة المتعددة الحلقات،والمنوأة الموجهة،والكرة الأرضية و الكرة السماوية،كما أعد جمال الدين تقويما فلكيا هجريا سمي"وان يان"الذي يعني عشرة ألاف سنة أستعمل كمرجع للتقويم في الصين لمدة أربعمائة سنة من بعد[3]

وإهتم المغول أيضا بالطب الإسلامي حيث أمر قوبلاي بإنشاء مركز لهذا الطب في بكين،وتأسيس دائرة للعقاقير الإسلامية[4]سميت "بدار النعمة"(1270م)تخصصت في صناعة الأدوية،وعين عليها طبيب عربي مشهور إسمه"يوسف"،ولاتزال يقايا من موسوعات طبية ألفت في تلك الفترة،وردت فيها أسماء الأدوية التي نقلت من العربية الى الصينية[5]كما إزدهرت الثقافة والفنون وبرز الشعراء والأدباء،وألفت في ذلك العهد دواوين شعرية وروايات أدبية،بالإضافة لإنتعاش المسرح والتمثيل[6]

[1]-جون مان،مرجع سابق،ص135

[2]-علي لي تشين تشونغ،**اثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ**،مجلة الفكر السياسي،العدد7،دمشق،1999،ص204

[3]-جعفر كرار،مرجع سابق،ص43

[4]- نفسه،ص46

[5]-فهمي هويدة،مرجع سابق،ص50.علي لي تشين شونغ،مرجع نفسه،ص203

[6]-هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص243.جون مان،مرجع سابق،ص267

كانت هذه ربما السمات الأبرز لملامح الإصلاحات التي قام بها قوبلاي في الصين،فهو زيادة على ترميم وإصلاح ما دمره المغول أثناء حملاتهم الحربية في الصين،أنعش بإصلاحاته الحياة الحضارية للصين العريقة وطعّمها بمعارف وتنظيمات جديدة،حيث بقيت إصلاحاته معمولا بها بعده في عهد خلفائه موضوع دراستنا القادم،ويمكن القول في الأخير أن قوبلاي الذي عاش في الصين منذ شبابه المبكر وتمثل بالحضارة الصينية،حكم الإمبراطورية المغولية بصفته إمبراطورا صينيا أكثر منه خاناً مغولياً

ثانيا: خلفاء قوبلاي قآان

أ/عصر القوة (693-706هـ/1294-1307م)

توفي قوبلاي قآان في العام(693هـ/الموافق ل1294م)بعد ان حكم قرابة الخمس وثلاثين سنة،وناهز عمره عند الوفاة الثلاثة وثمانين سنة،وانتهى بوفاته العصر الذهبي للمغول العظام في الصين ومنغوليا[1] باعتباره الخان الخامس للمغول والاخير،مخلفا ورائه الامبراطورية الشاسعة التي عمل عليها هو و الخانات الذين من قبله منذ جنكيز خان،حيث بذلوا مجهودات كبيرة في سبيل امتلاك العالم،وتحقق لهم في عهد قوبلاي ان اسسوا اكبر امبراطورية انذاك حُكمت من مقرها في الصين،حيث تحول عرش المغول وعاصمتهم اليها،وبقيت الخانية في ابناء واحفاد قوبلاي من بعده هناك الى غاية سقوطها في العام(769هـ/1368م)

كان قوبلاي قد فقد في حياته زوجته الأثيرة جابوي خاتون وذلك في عام(682هـ/1283م)[2] التي كانت صاحبته ومستشاره الأول خلال واحد وأربعين عاما،ففي عشرين عاما من زواجهما-قبل أن يتولى الإمبراطورية-أنجبت له أربعة أبناء من بينهم ولي عهده"جيم كيم" وخمس بنات،قامت بتربيتهم وتثقيفهم بكل الثقافات المحيطة، المغولية والصينية[3]

إلا أنّ "جيم كيم"الذي فضله قوبلاي على باقي إخوته وعينه وليا للعهد،وذلك لأنه كما يقول رشيد الدين"كان في غاية العقل والكفاءة" وقد أحبه قوبلاي جدا،توفي بعد ثلاث سنوات من

[1]- الهمذاني،مصدر سابق،ص298.سهيل طقوش،مرجع سابق،ص181

[2]-الهمذاني، مصدر نفسه،ص237.علاء محمود قداوي،**النساء الحاكمات في امبراطورية المغول**،مجلة المجمع العلمي، ج4،م46،1999،ص155

[3]-جون مان،مرجع سابق،ص363

تعيينه،كذلك كان أخوه "نوموغان"الذي لم يرضى بتولية "جيم كيم"وتصرف بتصرف غير لائق أمام القآان قوبلاي وطرده من مجلسه،قد توفي أثناء حياة والده[1]

وبذلك شغر منصب ولاية العهد الى أواخر عهد قوبلاي،وبناءا على نصيحة أبو بكر السيد الأجل،الذي كان وزيرا وصاحب ديوان لقوبلاي،أشار فيها بضرورة تسمية ولي العهد كي لا يحدث خلاف من بعده على منصب الخانية،وكان ذلك بتوصية من أرملة "جيم كيم" المسماة"كوكجين خاتون"فسمى قوبلاي على إثر ذلك حفيده "تيمور"بن "جيم كيم"لولاية العهد وعمره خمس وعشرين سنة[2]

ولما توفي قوبلاي وحسب العرف المغولي تتولى الزوجة الأثيرة أو أحد أبنائها إدارة الإمبراطورية لحين عقد قوريلتاي لإقرار ولي العهد أو إختيار أمير أخر من بين العائلة الملكية ليكون خانا،وبما أن الزوجة المحببة لقوبلاي كانت "جابوي خاتون" قد توفيت في حياته كما ذكرنا،وإنّ أبنائهما الأربعة "جيم كيم"و"نوموغان"و"تورجي"و"مينكقلان" هم الأخرون توفوا في حياة والدهم[3] فقد آلت الأمور الى زوجة "جيم كيم""الخاتون ككوجين" التي كانت تحظى بمكانة عالية عند قوبلاي ووصفت بأنها إمراة عاقلة،ونظرا لهذه المكانة فقد إتفق الأمراء على توليتها أمر تصريف شؤون الحكم في أعقاب وفاة قوبلاي لحين إنتخاب خان جديد للبلاد[4]

ظلت ككوجين تصرف مهام الحكم ومصالحه لمدة عام،حتى حل موعد إنعقاد القورلتاي عام(694هـ/1295م)حضره عدد كبير من الأمراء والخواتين من كل بيوت آل جنكيز خان،وعلى الرغم من أن ككوجين كانت عازمة على إختيار أحد أبنائها للخانية،إلا أنها واجهت مشكلة نزاع بين إبنيها "تيمور" وأخوه الأكبر "كملا"[5]الذي رأى أنّ له الأحقية في تولي عرش القآان بحكم أنه الأكبر،إلا أن تيمور إستند الى الشرعية التي إكتسبها من تعيين القآان الراحل قوبلاي له

كذلك كانت لتزكية ككوجين لإبنها "تيمور" دورا في توليه ولاية العهد من قبل، ثم عند إحتدام النزاع مع "كملا" أين إستطاعت وبطريقة ذكية من حسم الموضوع،وإقترحت مناظرة بينهما أمام

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص294

[2]- نفسه،ص296-297.رغد عبد الكريم النجار،مرجع سابق،ص123

[3]- نفسه،ص237-238وص294.رغد عبد الكريم،مرجع نفسه،ص123

[4]-علاء قداوي،مرجع سابق،ص156

[5]- الهمذاني،مصدر نفسه،ص313.علاء قداوي،مرجع نفسه،ص156

الأمراء خلال المؤتمر،دارت حول من هو الأعرف بقوانين جنكيز خان ونصائحه وأحكام المغول،ولما كان "تيمور" أفصح لسانا وأكثر معرفة بالقوانين،عجز "كملا "عن مجاراته في ميدان المناظرة،واتفق بعد ذلك الأمراء والحضور جميعا على جدارة "تيمور" لتولي العرش،وبالفعل تم إجلاسه في تلك السنة على عرش الخانية في مدينة"كمين فو"[1]

وبعد أن فرغ المغول من الإنتهاء من مراسيم تتويج"تيمور قاان" على عرش المغول"وأقاموا المآدب وأجروا مايلزم من رسوم التهنئة،وجه القآان الجديد أوامره وتعليماته لترتيب شؤون الجيش والملك،وعليه إختار الوزراء وأصحاب الدواوين،ومجاراة لأخيه "كملا" وإعادةً لهيبته كونه أخوه الأكبر نصّبه حاكما على منغوليا متخذا من قراقورم مقرا له،ليحكم بذلك معسكرات وجيوش آل جنكيز خان[2]،والتي كان يمنح حكمها لأفضل الأبناء

تعد فترة حكم تيمور قآان من(693-706هـ/1294-1307م) أي ثلاثة عشر سنة من أفضل فترات التي عاشتها الصين خلال عهد خلفاء قوبلاي،كما يعد هو ذاته مع قوبلاي الممثلان الكبيران والأخيران للسلالة الجنكيز خانية[3]

ب/عصر الضعف (انهيار حكم سلالة ايوان)

حملت المغامرة المغولية،التي أسست إمبراطورية مترامية الأطراف معها بذور إنحلالها،فما إن إنتهت موجة الغزوات حتى أمست الحاجة الى تنظيمها وإدارتها،ولكن التفاوت كان واسعا جدا بين المغول البرابرة والشعوب المتحضرة التي أخضعوها[4]ففي الصين وعلى الرغم من الإصلاحات قوبلاي والسلام الذي حل بالبلاد جراء توحيدها،إلا أنّ السياسات التي مورست على الصينيين كوضعهم في أسفل السلم الإجتماعي كما ذكرنا سابقا،وبعض السياسات القمعية الأخرى التي تشير إليها المراجع الصينية،كمنع الزواج بين الصينيين والمغول،ومنع تعيين الصينين في أعلى المناصب الحكومية في الدولة،وفرض حظر التجوال في المدن،وحظر كافة الإجتماعات بين الصينيين،ولم يكن مصرحا

[1]-الهمذاني،مصدر سابق،ص314

[2]- نفسه،ص314

[3]-سهيل طقوش،مرجع سابق،ص181

[4]- نفسه،ص181.ادوارد بروي،مرجع سابق،ص387

للصينيين بإمتلاك الأسلحة،أو السفر والتجوال ليلا[1]،مع حطهم موضع الريبة والشك دائما،ولّدت ضغوطا وحالة من الشحن داخل المجتمع الصيني وهو يرى إغتصاب المغول لسيادتهم

هذا بالإضافة الى عودة التمردات على سلطة القآان والمحاولات الإنفصالية عن الصين،فيحدثنا رشيد الدين عن الأمير "أنندة بن مينكقلان بن قوبلاي"الذي ولاه تيمور على عسكر وولايات التانغوت البلاد الكبيرة الواسعة التي تقع على الجانب الغربي للصين،والتي يؤكد على أن أكثر أهلها مسلمين،وكذلك كان الأمير"أنندة"مسلم ترسخت العقيدة الإسلامية في قلبه منذ الصغر وتعلم القرآن،وصار يكتب بالخط العربي،وكان يقضي معظم وقته في العبادات والطاعات،ويلزم المسجد دائما،إستطاع أن يُدخل أكثر جيشه المغولي البالغ عدده مائة وخمسين ألف جندي الى الإسلام[2]

وفي الحوار الذي دار بين "أنندة" وتيمور قآان بعد أن إستدعاه الى البلاط لمسائلته عن إسلامه،وتدخل "ككوجين خاتون"على سبيل النصح لإبنها تيمور،بأن تعنيفه "لأنندة" الذي حوله جنود كثيرون ومن ورائه أهل التانغوت المسلمون[3]،إشارات الى تغيّر سياسات حكومة الصين المغولية إتجاه الأديان والتي عرف عنهم إنفتاحهم عليها من قبل،كذلك القوة التي أصبح يتمتع بها "أنندة" ويشير إليها رشيد الدين بوضوح عندما يقول أن تيمور قآان" أعزه ووقره،ثم أعاده ليرأس ولاية التانغوت ويتولى قيادة الجيش وهو مهيمن ومسيطر مسيطرة تامة كاملة عليهما"[4]وعاد أيضا "قايدو" حاكم التركستان الغربية الى التمرد،مما إستدعى من القآان تسير جيش لمقاتلته سنة(701هـ/1301م)وأنزل به الهزيمة حيث توفي قايدو خلالها[5]

وكان الإعتراف "بأنندة" حاكما مطلقا على تانغوت وتمرد قايدو حاكم التركستان الغربية ومحاربته دلائل على محاولات إنفصالية وتضعضع داخل الأسرة المغولية،وبدايات لإدخال الصين في حالة من الإنحصار والتي اصبح من الواضح أن سلطة القآان الأعظم إنحصرت داخلها فلم تعد حكومته قادرة على بسط سيطرتها على خارج حدود الصين[6]

[1]-ايمي شوا،مرجع سابق،ص181.هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص245

[2]-الهمذاني،مصدر سابق،ص215-216

[3]- نفسه،ص317

[4]- نفسه،ص318

[5]- نفسه،ص321

[6]-ادوارد بروي،مرجع سابق،ص387

ويتضح ذلك في عهد خلفاء تيمور قآان فاستثناء عهد خلفه "هوي زونغ"أو"كيشان كلوك"(708-711هـ/1308-1311م)الذي تشير المعلومات أنه كان شديد الهوى بالثقافة والعلوم،ونشطت في عهده الحركة الصناعية وإنتعشت التجارة الخارجية[1]، لم يتمكن البقية بالمحافظة على سيطرتهم حتى على الصين في حد ذاتها،لإنغماسهم في الترف والبذخ،مما أفقدهم إهتماماتهم ومهاراتهم القتالية،وولد الكثير منهم جنوب سور الصين،بعيدا عن السهول والتدريبات على الرماية من فوق ظهور الخيل التي كانت تميز أجدادهم[2]فقد أصبحوا صينيين أكثر منهم مغوليين ذابو داخل الجسم الصيني،وعليه توصل أباطرة الصين المنحدرون من سلالة قوبلاي الذين كان يحيط بهم سخط شعبي من كل مكان،الى إستنتاج مفاده أنهم أضعفوا أنفسهم بسبب أنهم أصبحوا صينيين أكثر مما ينبغي،فبدأو بوضع حواجز بشكل متزايد بينهم وبين رعاياهم الصينيين،من خلال عزل أنفسهم والتأكيد على هويتهم المغولية[3]

كل هذه المؤشرات والدلائل كانت بمثابة الشرارة التي تتزايد يوما بعد يوم،وبمرور الوقت نشبت الصراعات بين الخلفاء وإستشرت الإغتيالات،وفي العام(1328م)إندلعت حرب أهلية على مدار شهرين إنتهت بعمليات إعدام واسعة النطاق،وبحلول العام(1331م)إنتشر الطاعون في أجزاء من الصين[4]بعدها شاءت الأقدار في العام(1351م) أن تتكسر السدود على طول النهر الأصفر،فغرق ألاف البشر جراء ذلك[5]

جراء هذه الأعمال والتدهورات نشطت جمعيات سرية قادت العمليات الثورية،وتقول الحوليات الصينية أنه"كان هناك هجوم في الشرق وإضطهاد في الغرب،وأعمال إنتقامية في الجنوب وحرب في الشمال،حيث كان الجميع يأمل في ظهور المحرر"[6]وتفاقمت الأوضاع ولم تعد القوات المغولية قادرة على مواجهة الثوار والقضاء عليهم،لكثرة الثورات وإتخاذها أسلوب حرب العصابات وإنتشارها في بلاد الصين[7]

[1]-رغد عبد الكريم النجار،مرجع سابق،ص126

[2]-هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص246

[3]-ايمي شوا،مرجع سابق،ص190

[4]-جون مان،مرجع سابق،ص377

[5]-طارق فتحي سلطان،امبراطوريات الصين،مجلة تاريخ العرب والعالم،العدد الخامس والعشرون،بيروت،1400هـ،ص81

[6]-هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص247

[7]-طارق فتحي سلطان،مرجع نفسه،ص81

وفي الخمسينات من القرن الرابع عشر إنتشرت حركة عرفت بأصحاب العمائم الحمراء في أنحاء الشمال،وكان قادتها من الفلاحين والحرفيين وفي بعض الأحيان من صغار التجار[1]وما لبثت ان عمت أنحاء الصين الجنوبية،إلاّ أن الإضطراب سيطر عليها في البداية،ولكن أحد رؤساء الفرق المسلحة اسمه الكاهن"تشو يوان تشانغ"وهو مغامر في الخامسة والعشرين،تميز ببعد نظره السياسي وبالنظام الشديد إستلم قيادة التحرير[2]

وانطلقت المقاومة من الجنوب وقد إحتل الثوار المناطق والأقاليم تباعا إبتداءا من "نانكينغ" التي سقطت عام(1356م) وكانتون (1367م) الى أن وصلوا الى العاصمة "داي دو"بكين التي سقطت عام(769هـ/1368م)[3]

وعلى إثر سقوط العاصمة تم قتل كافة المغول الذين لم يفروا مع إمبراطورهم "طوغان تيمور"خان آخر أباطرة اليوان(732-772هـ/1332-1370م) وجلس "تشو يوان-تشانغ" على العرش مؤسسا بذلك أسرة جديدة هي أسرة "مينغ"،وتسمى هو بإسم "هونغ-وو" معلنا نفسه أول إمبراطور لهذه الأسرة[4]

انه لحدث فريد من نوعه في تاريخ الصين التي طالما أخضعها الغزاة الشماليون،لقد حررت الثورة القومية الصين الجنوبية أولا من إستعباد مغولي إستمر أكثر من قرن،ثم إستعادت مناطق الشمال التي سيطر عليها منذ أربعمائة عام ملوك وطغاة عسكريون من أصل اجنبي،وطمس "تشو يوان تشانغ" معالم السيطرة المغولية،وربط الصين الجديدة بأبعد ماض قومي من خلال الإعداد لحضارة تراعي في جوها التقاليد الصينية،ولم يبقى من المغامرة المغولية العظمى سوى[5]ما تدين به الصين اليوم لقوبلاي قآان توحيده لأقاليمها

[1]-هيلدا هوخام،مرجع سابق،ص247

[2]-ادوارد بروي،مرجع سابق،ص388

[3]-طارق فتحي سلطان، مرجع سابق،ص81

[4]-سهيل طقوش،مرجع سابق،ص183

[5]- نفسه،ص183

خاتمة

خاتمة

لعبت الصين ادورا بارزة طوال تاريخ البشرية لما لها من رسوخ في اعماق التاريخ بحضارتها القديمة وشعبها الفريد والمتميز،وبحكم موقعها الجغرافي فقد كانت الصين على اتصال بامم متعددة مجاورة لها او تواصلت معها تجاريا وثقافيا او حتى عسكريا،حيث حظيت هي الاحرى باهتمامات تلك الامم،فقد كانت مقصد التجار والرحالة وخاصة المسلمين الذين ساهموا في رسم صورة عنها ووضحوا جغرافيتها الطبيعية والبشرية والسياسية.

وقد تعاقبت على حكم الصين طوال تاريخها الالفي القديم عدة اسر وسلالات صينية وغير صينية،وكانت اسرة "تانغ" افتتحت العصر الوسيط من تاريخ الصين وحكمت لاكثر من ثلالة قرون توحدت خلالها البلاد بعد الانقسام،وشهدت الصين خلال فترة حكمها تطورا وازدهارا حضاريا،ولكن مالبثت ان عادت الى الانقسام والاضطراب عقب سقوط حكم سلالة "تانغ"،حيث حكمت عدة اسر واسست ممالك داخل اقاليم الصين

استطاعت بعدها سلالة "سونغ" الصينية من بسط نفوذها على اغلب البلاد،ماعدا الاقاليم الشمالية التي حكمتها قبائل الخطا التي نزحت من الاقاليم الجنوبية لمنشوريا شمال الصين،وقبائل الخطا هذه من اصول تانغوزية،استغلت اوضاع الصين لتبسط نفوذها على الاقاليم الشمالية مؤسسة دولة عرفت في التاريخ الصيني بسلالة"لياوؤ" اعقبتها سلالة اخرى هي سلالة "كين" من قبائل "الجورجين"الذين توسعوا على حساب اقاليم سلالة "سونغ" التي نزحت الى الجنوب تحت ضربات "الكين" واسست بعد سقوط حكمها في الشمال،دولة في الجنوب عرفت بسلالة "سونغ" الجنوبية

كذلك امتد نفوذ سلالة "كين" الى الشمال من سور الصين العظيم،اين كانت تعيش الشعوب الالتائية نسبة الى جبال "التاي"عبر سهول واراضي هضبة منغوليا التي طالما اعتبرت اراضيها موطنا لتلك الشعوب منذ العصور القديمة، حيث عاشت مشكلة لمجموعات كبيرة من البشر تمارس الرعي والارتحال والهجرات،وكان من بين هذه الشعوب شعب المغول.

ويعرف تاريخ المغول بعد تاسيسهم للامبراطورية في القرن الثالث عشر،ولكن تاريخهم المبكر يكتنفه الغموض والاسطورة والخرافة التي يتميز بها هذا الشعب،الا انه حسب السجلات الصينية التي استطاعت ان تحتفظ باشارات لتاريخ المغول المبكر،حيث يرد اسمهم "مينييو"او"مونجهول" في حوليات اسرة "تانغ"ضمن قبائل "الشواي" الذين قطنوا شمال الصين،ثم هاجروا بسبب الاضطرابات والحروب الى الغرب تجاه اراضي منغوليا حيث تشكلت هناك قبائل المغول

وفي القرن الثاني عشر استطاع الفتى "تيموجين" من قبيلة "قيان" ان يوحد القبائل المغولية تحت امرته،بعدها اخضع القبائل الاخرى وزعمائها تحت زعامته،واتخذ لنفسه لقب "جنكيز خان"،ولم تقتصر جهوده على توحيد القبائل بل كانت بمثابة خطوة لبناء امبراطورية عالمية،حيث تحرك من اجل تحقيق ذلك وكانت الصين هدفه الاول،وتعتبر حروبه على جبهة الصين مجرد غزوات لم تعرف استقرار،ولعل ابرز مافيها تمكنه اسقاط عاصمة مملكة "كين" زنغدوا او بكين

وقد تواصلت حروب المغول بعد موت جنكيز خان وكان لابد من بذل مجهود اخر لاخضاع سلالة "كين" التي صمدت حتى خانية اكتاي الذي استطاع ان يجتاح كل اقاليم الشمال الصيني،بعد اسقاط عاصمة سلالة "كين"مدينة" كاي فونغ" فانتهى بذلك حكم هذه السلالة،و تمثلت مهمة "منكو قان" الخان الرابع للمغول في توحيد ودمج الاقاليم الشمالية لاتمام السيطرة عليها،وكان شقيقه قوبلاي الشخصية الابرز خلال فترة حكمه،فقد ولاه قيادة العمليات العسكرية لاستكمال غزو الصين الجنوبية،كما تولى حكم اقاليم الصين وانشأ العاصمة "خان باليق"او "داي دو"

قوبلاي شخصية مميزة في تاريخ الصين والمغول فهو الخان الخامس للمغول،وواحد من ابرز اباطرة الصين،فقد قضى قوبلاي معظم حياته في الصين وتاثر تاثرا شديدا بالحضارة الصينية لذلك يقال انه كان امبراطورا صينيا اكثر منه خانا مغوليا،ففي عهده تم للمغول السيطرة الكاملة على الصين وتم تاسيس مايعرف بسلالة "ايوان"التي حكمت الصين لاكثر من قرن من الزمن

تعتبر فترة حكم قوبلاي للامبراطورية المغولية عامة والصين خاصة من ازهى الفترات،فالامبراطورية عرفت اقصى اتساع لها فبلغت اكثر من ثلثي العالم،اما الصين فقد اعاد قوبلاي ترميم واصلاح ما خربه المغول طوال فترات حروبهم هناك،فاصلح الاراضي والزراعة والادارة، ونشطت الحركة التجارية في عهده،كما اهتم قوبلاي بالتشيد والعمران فانشا العاصمة "داي دو"،وزيادة على انعاشه للحياة الحضارية للصين فقد طعمها بمعارف وتنظيمات جديدة خاصة من الحضارة الاسلامية

عند وفاة قوبلاي خلف امبراطورية شاسعة عمل عليها هو الخانات قبله،الا ان خلفائه لم يكونوا كاجدادهم المغول،فقد ولد الاحفاد داخل حياة المدنية والترف والبذخ،فتاثروا كثيرا بالحضارة الصينية لدرجة انهم اصبحوا صينيين اكثر منهم مغولا،وهنا كانت نقطة ضعف المغول حيث حملوا معهم بذرة الانحلال والتاثر بالحضارات الاخرى،مما سبب لهم الذوبان داخل المجتمعات الاخرى،ومن اجل تفادي ذلك عملوا على عزل انفسهم عن رعاياهم،واتخذوا تدابير تعسفية ، الامر الذي ادى الى امتعاض وسخط المجتمع عليهم

كانت التدابير التي اتخذها المغول ضد المجتمع في الصين سببا في ظهور نزعات الثورة والتحرر،حيث نشط الصينيون من اجل استعادت حكمهم لبلادهم من المغول،وتزامن ذلك مع ضعف خانات المغول،الذين لم يستطيعوا التحكم في الثورات التي اندلعت في انحاء الصين في القرن الرابع عشر،وقادت هذه الثورات جمعيات سرية من بينها مايعرف بجماعة "العمائم الحمراء" القومية التي استطاعت اسقاط العاصمة والاستيلاء عليها مؤسسة بذلك سلالة "مينغ"

تدين الصين اليوم للمغول ولقوبلاي خاصة توحيده للبلاد وكذلك قضائه على حكم السلالات الغير صينية وخاصة قبائل الخطا،كما تدين له بايجاد توليفة جمعت مختلف القوميات والاعراق والاجناس وحتى الديانات والثقافات،فقد فتح قوبلاي الباب للجميع فكسر النزعة الصينية المعروفة بالاستعلاء والانغلاق

الملاحق

الملحق رقم 1 :امبراطورية المغول

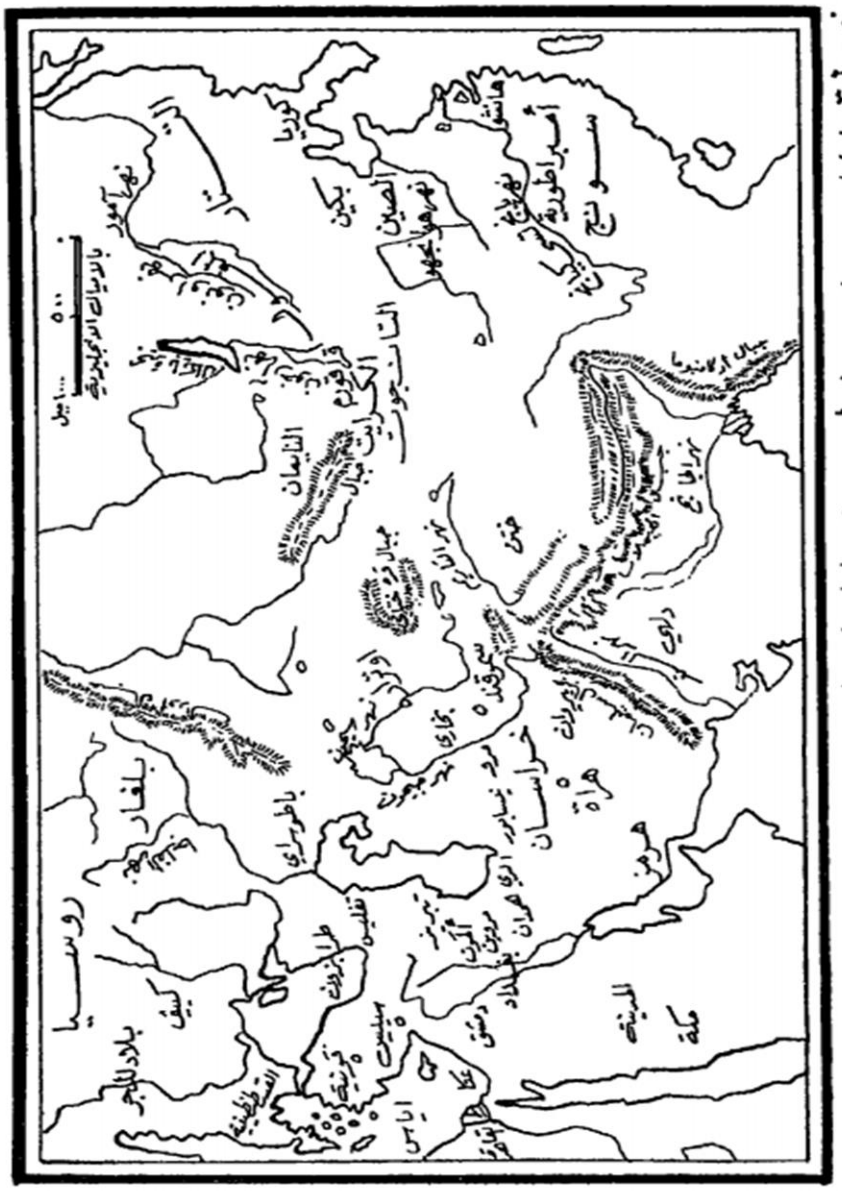

المصدر:فؤاد عبد المعطي الصياد:المغول في التاريخ،ص403

ملحق رقم 2 شجرة نسب آل جنكيز خان،القآانات الكبار وأسرة إيوان بالصين

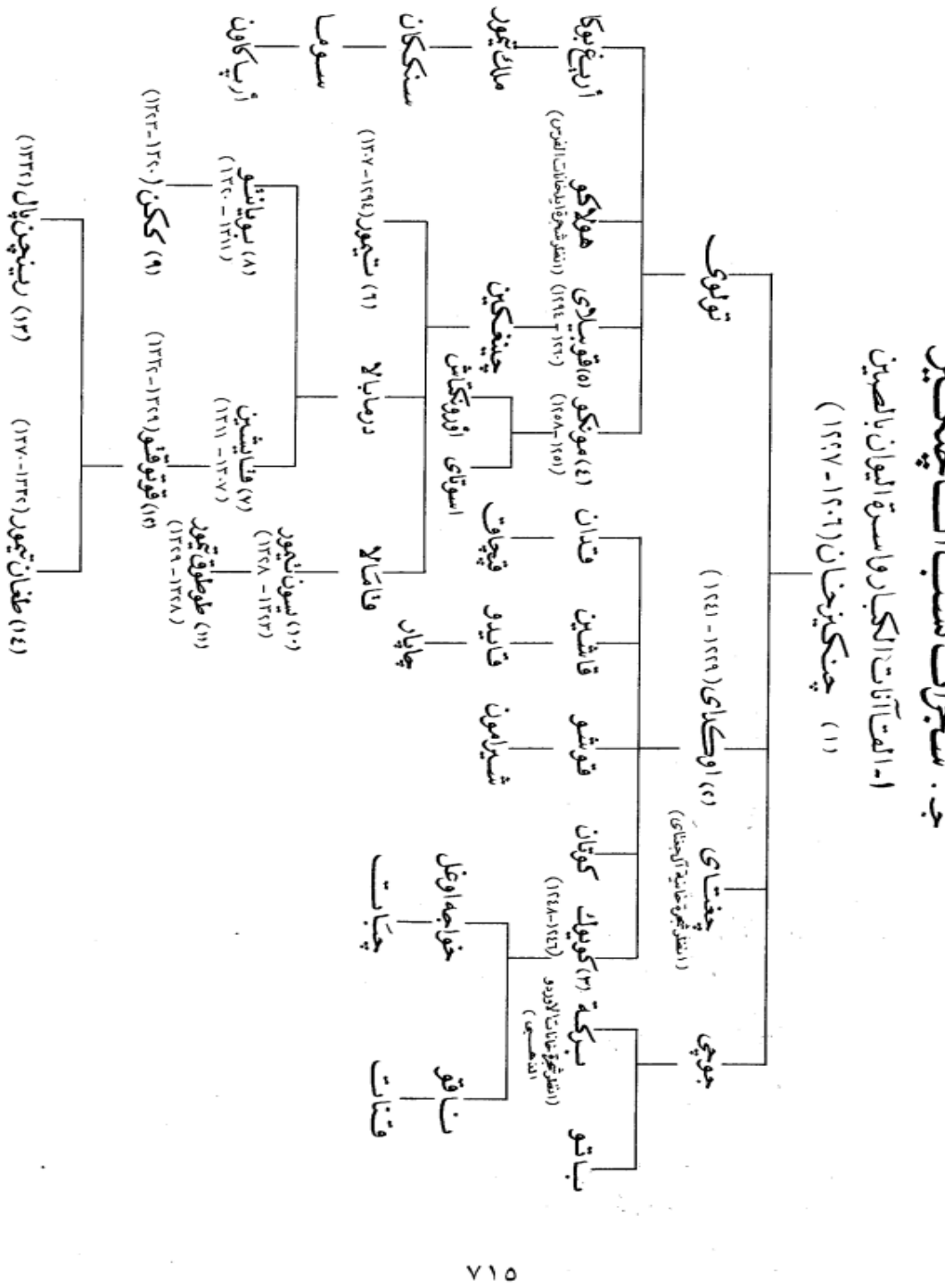

المصدر:بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي،ص715

ملحق رقم 3 :خانات المغول الكبار

-٥٦-

خانات المغول الكبار وذرية " أقطاى" و " تولوى"

(أسرة ينوان فى الصين)

٦٠٣ - ١٠٤٣/١٢٠٦ - ١٦٣٤

في منغوليا وشمالي الصين

١٢٠٦/٦٠٣	جنكيزخان
١٢٢٧/٦٢٤	أوكتاي
١٢٤١/٦٣٩	توركينا - بالوصاية
١٢٤٦/٦٤٤	كيوك
١٢٤٩/٦٤٧	اوغل غايمش - بالوصاية
١٢٥١/٦٤٩	مونك (مونكو)
١٢٦٠/٦٥٨	قوبلاي
١٢٩٤/٦٩٣	تِمور او لجيتو (أولجايتو)
١٣٠٧/٧٠٦	قيشان كولوك
١٣١١/٧١٠	أيوربر بهادرا بيانتو
١٣٢٠/٧٢٠	سودهيبالا كيجئين (كيجن)
١٣٢٣/٧٢٣	يسون تِمور
١٣٢٨/٧٢٨	اريغبا
١٣٢٨/٧٢٨	جيجغاتو توق - تِمور
١٣٢٩/٧٢٩	قوشيلا قوتقتو
١٣٣٢/٧٣٢	رنجندبال (ارنجبال)
٧٣٢ - ١٣٣٢/٧١ - ٧٠	طوغان تِمور

ظلت سلالة أحفاد « تولوي » منفردة بحكم منغوليا حتىٰ القرن السابع عشر، إلا أن أسرة « منغ » قد حلت محل الخانات في الصين عام ١٣٦٨.

المصدر: كليفورد بوزورث:الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص203

بيبليوغرافيا

أولا: المصادر

1-ابن الوردي سراج الدين(ت861هـ): خريدة العجائب وفريدة الغرائب،تح انور محمود الزناتي،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2008

2-ابن العميد المكين جرجيس: أخبار الأيوبيين،مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد،دت

3-ابن تغري بردي جمال لدين(ت874هـ):

- _____ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،تح محمد حسين شمس الدين،ج6،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1992

- _____ المنهل الصافي والمستوفي بعدالوافي،تح محمد محمد امين،ج4،مركز تحقيق التراث،القاهرة،1986

4-ابن العماد شهاب الدين(ت1089هـ):شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ج7،تح محمود الارناؤوط،دار ابن كثير،ط1،دمشق،1991

5-ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ):الخبر عن دولة التتر،تح احمد عمراني،دار الفارابي،ط1،بيروت،2013

6-ابن العبري غريغوريوس(ت685هـ):تاريخ مختصر الدول،دار الرائد اللبناني،ط2،الحازمية،لبنان،1994

7-ابو الفداء عمادا لدين(ت732هـ) : تقويم البلدان ،تح ريفود و ديسلان ،دارصادر،بيروت ،دت

8-البناكتي ابو سليمان(ت730هـ): روضة اولي الالباب في معرفة التواريخ والانساب،تر محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة،2007

9-الجويني علاء الدين عطا ملك(ت681هـ):فاتح العالم جهنكشاي ،تر السباعي محمد السباعي ،دار الكتب والوثائق القومية ،ط1،القاهرة ،2007

10-الجوزجاني منهاج الدين عثمان(ت بعد658هـ):طبقات ناصري،تر ملكه علي التركي،ج2،المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة،2012

11-الحموي ياقوت(ت626هـ):معجم البلدان،دار صادر بيروت،دت

12-الحافظ الذهبي(ت748هـ):العبر في خبر من غبر،تح محمد بن السعيد بسيوني،ج3،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1985

13- العمري ابن فضل الله(ت749هـ) ،مسالك الابصار في ممالك الأمصار،تح :كامل سليمان الجبوري،ج3،دار الكتب العلمية،العراق،دت

14-العيني بدر الدين(ت855هـ): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد،تح فهيم محمد علوي شلتوت،دا الكتب المصرية،ط2،القاهرة،1998

15-الغساني الملك الأشرف(ت803هـ):العسجد المسبوك والجوهر المحكوك،تح شاكر محمود عبد المنعم،دار التراث الاسلامي،بيروت ،1975

16-القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،دت

17-القلقشندي ابو العباس احمد(ت821هـ):

- _____ قلائد الجمان في تعريف بقبائل عرب الزمان،تح إبراهيم الأبياري،دار الكتب المصرية،ط2،القاهرة،1982

- _____ صبح الاعشى في صناعة الانشا،ج4،دار الكتب الخديوية، القاهرة،1914

18-القرماني احمد بن يوسف(ت1019هـ): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح احمد حطيط، مج2،عالم الكتب،ط1،بيروت،1992

19-الكاشغري محمود بن الحسين: ديوان لغات الترك،دار الخلافة العلية،1333هـ

20-الكتبي محمد بن شاكر(ت764هـ): فوات الوفيات، تح احسان عباس،مج1،دار صادر،1973

21-المروزي شرف الزمان طاهر: أبواب في الصين والترك و الهند ،ترجمه ونشره منورسكي،لندن،1942

22-المقريـزي تقـي الـدين(ت745هـ):السـلوك في معرفـة دول الملـوك،تح محمـد عبـد القـادر عطا،ج1،درا الكتب العلمية، ط1،بيروت،1997

23-المدائني ابن أبي الحديد: حملات الغزو المغولي للشرق فصل من شرح نهج البلاغة،تر مختار جبلي،دار لارماتون، باريس،1995

24-النسوي محمد بن أحمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تح حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة،1953

25-النويري شهاب الدين(733هـ):نهاية الارب في فنون الادب،تح نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز،ج27،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،دت

26-الهمذاني رشيد الدين(ت718هـ):

- _____ جامع التواريخ "تاريخ هولاكو"،ترمحمد صادق نشأت،محمد موسى هنداوي،فؤاد عبد المعطي الصياد،مج2،ج1،دار إحياء الكتب العربية، الجمهورية العربية المتحدة،1960

- _____ جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيز خان من اكتاي قآان الى تيمور قآان)،تح فؤاد عبد المعطي الصياد،دار النهضة العربية،ط1،بيروت،1983

27-ماركو بولو(ت1324م):رحلات ماركو بولو،تر عبد العزيز جاويد،ج2،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1996

28-مؤلف مجهول(ت بعد 372هـ): حدود العالم من المشرق الى المغرب،تح يوسف الهادي،الدار الثقافية،ط1،القاهرة،1999

ثانيا: المراجع العربية

1-الباز العريني:المغول،دار النهضة العربية،بيروت،1981

2-العـزاوي عباس:تـاريخ العـراق بـين إحتلالـين،م1، الـدار العربيـة للموسـوعات،ط1، بيروت،لبنان،2004

3-الرمزي م.م:تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار،ج1،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، لبنان،2002

4- اسامة احمد التركماني: تاريخ الترك والتركمان،دار الارشاد للنشر،سوريا،2007

5-إسماعيل عبد العزيز الخالدي: العالم الاسلامي والغزوالمغولي،مكتبةالفلاح،ط1،الكويت،1984

6- احمد حطيط : حروب المغول،دار الفكر اللبناني،بيروت،1994

7- امال سليمان الزوي:الامبراطورية المغولية في عهد اكتاي،دار الفضيل،ط1،ليبيا،2011

8- ثروت عكاشة: إعصار من الشرق جنكيز خان،دار الشروق،ط5،القاهرة،1992

9-حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي،ج4،دار الجيل،ط14،بيروت،1996

10-عبد المعطي الصياد:المغول في التاريخ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1980

11- عبد السلام عبد العزيز فهمي: الدولة المغولية في ايران،دار المعارف،القاهرة ،1981

12-علي محمد الصلابي:دولة المغول والتتار بين الإنتشار والإنكسار،دار المعرفة،ط1،بيروت،لبنان،2009

13-عبد العزيز جنكيز خان:تركستان قلب آسيا،الجمعية الخيرية التركستانية،دت

14-عباس إقبال:

- _____ تاريخ إيران بعد الإسلام، تر محمد علاء الدين منصور،دار الثقافة،القاهرة،1989

- _____ تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية،ترعبد الوهاب علوب،المجمع الثقافي،ابو ظبي،الامارات،2000

15-سعد بن حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام،دار ابن حذيفة،ط2،1983

16-سعاد الطائي:الإيغور دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة،دار ومكتبة عدنان،ط2،بغداد،العراق،2016

17-محمد علي البار:كيف اسلم المغول،دار الفتح،ط1،عمان،الاردن،2008

18-محمود سعيد عمران:المغول واوربا،دار المعرفة الجامعية،دت

19-محمد سهيل طقوش:تاريخ المغول العظام والاليخانيين،دار النفائس،ط1،بيروت،لبنان،2007

20-مكي محمدعزيز:آسيا الموسمية،دار ذات السلاسل،الكويت،1986

21-محمود السيد :التتار والمغول،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية،2001

22-محمد فتحي الشاعر: مصر قاهرة المغول في عين جالوت،دار المعارف،1995

23-محمد دبير سياقي:السلطان جلال الدين خوارزم شاه في ميزان التاريخ،تر احمد خولي،المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة،2009

24-كتابجي زكرياء:الترك في مؤلفات الجاحظ،دارالثقافة،بيروت،لبنان،1972

25-فوزي درويش:الشرق الأقصى الصين واليابان، دار الكتب المصرية،1997

26-فهمي هويدة:الاسلام في الصين،عالم المعرفة،الكويت،1981

ثالثا: المراجع المعربة

27-ادوارد بروي: تاريخ الحضارات العام،م3،تر يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات،ط2،بيروت،1986

28-أرمينوس فامبري:تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر،تر أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،دت

29-ادوارد جرانفيل براون:تاريخ الادب في ايران،ترابراهيم امين الشواربي،المجلس الاعلى للثقافة،ط1،القاهرة،2005

30-ايمي شوا: عصر الامبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على العالم واسباب سقوطها، تر منذر محمود صالح محمد، دار العبيكان للنشر،ط1،الرياض،المملكة العربية السعودية،2011

31-أبرار كريم الله :من هم التتار:تر رشيدة رحيم صبروتي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993

32-بارتولد ف فاسيلي:

- _____تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي،تر صلاح الدين هاشم،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،ط1،الكويت،1981

- _____تاريخ الترك في آسيا الوسطى،تر احمد سعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1996

33-بارتولد شبولر:العالم الاسلامي في العصر المغولي،تر خالد اسعد عيسى،دار حسان،ط1،دمشق،1982

34-جياو جيان :تاريخ الصين ،ج2،دار بناء الصين ،ط1،بكين،الصين،1987

35-جورج لاين: عصر المغول،تر تغريد الغضبان،هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة،ط1،ابو ظبي، الامارات،2012

36-جون مان:

- _____جنكيز خان الحياة والموت والانبعاث، تر حسن عبد العزيز عويضة، دار الكتب الوطنية،ط1،ابو ظبي،الامارات العربية المتحدة،2013

- _____كوبلاي خان ملك المغول الذي اعاد بناء الصين،تر احمد لطفي،دار الكتب الوطنية،ط1،ابو ظبي،الامارات،2013

37-ستيفن رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية،ج3،تر الباز العريني،دار الثقافة،بيروت،1997

38-ستانلي لين بول:تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الاسلام،تر مكي طاهر،الدار العربية للموسوعات،ط1،بيروت،لبنان،2006

39-سون يان جينغ : تاريخ الصين، دار النشر الصينية عبر القارات،2010

40-كليفورد بوزورث:الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي،تر حسين علي اللبودي،مؤسسة الشراع العربي،ط2،الكويت،1995

41-شوي قوانغ:جغرافيا الصين،دار النشر بالغات الاجنبية،ط1،بكين،1987

42-هيلدا هوخام :تاريخ الصين منذ ماقبل التاريخ حتى القرن العشرين ،تر اشرف محمد كيلاني ،المجلس الاعلى للثقافة ،ط1،القاهرة،2002

43-هارولد لامب: جنكيز خان امبراطور الناس كلهم

44-ي-ا-كيتشانوف: حياة تيموتشيجين الذي فكر في السيطرة على العالم،تر طلحة الطيب، مركز جمعة الماجدللثقافة والتراث،دبي،2005

45-يلماز ازطونا:المدخل الى التاريخ التركي،تر ارشد الهرمزي،الدار العربيةللموسوعات،ط1،بيروت،لبنان،2005

رابعا: الدوريات

1-احمد جعفر كرار:دراسة حول الاسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين،مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،العدد،2،2007

2-رغد عبد الكريم النجار: إمبراطورية المغول (دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم)،مجلة اداب الرافدين ،العدد59،2011

3-سعاد حسن الطائي:الدور السياسي والاداري لزوجات خانات المغول خلال العصر العباسي،مجلة مداد الاداب،العدد الرابع،دت

4-ساوندرز ج.ج: البدو وبناء الإمبراطوريات دراسة مقارنة للفتوحات العربية والمغولية، تر محمد السماك ،دار الاجتهاد الابحاث والترجمة والنشر،مج4،العدد17،لبنان،1992

5-عبد الرحمن فرطوس:البريد عند المغول،مجلة كلية الاداب جامعة بغداد،العدد80،العراق،2007

6-علي لي تشين تشونغ:اثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ،مجلة الفكر السياسي،العدد7،دمشق،1999

7-علاء محمود قداوي:النساء الحاكمات في امبراطورية المغول،مجلة المجمع العلمي،ج4،م46،1999

8-نعمان محمود جبران: محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير،مجلة دراسات تاريخية،العددان39،40،كانون الاول،1991

9-فاضل كاظم صادق: قيام دولة القراخطاي وإتساعها في آسيا الوسطى،مجلة اداب ذي قار ،العدد1،2010

10-طارق فتحي سلطان:امبراطوريات الصين،مجلة تاريخ العرب والعالم،العدد الخامس والعشرون،بيروت،1400هـ

خامسا: الرسائل الجامعية

-عيساني شفيقة :شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة والجغرافيين المسلمين،رسالة ماجستير،اشراف محمد بن عميرة،جامعة الجزائر2008،/2009

-مصطفى بن حسين :المغول وعلاقتهم بالقوى المسيحية والاسلامية ،مذكرة ماجستير،اشراف رشيد تومي،2009/2008

سادسا: المواقع الالكترونية

https://www.arab-ency.com

https://wikivisually.com

http://self.gutenberg.org/articles/eng/Tangut_Empire

http://www.like2do.com/learn?s=Xi_Xia

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 6

الفصل التمهيدي

اوضاع الصين قبيل ظهور المغول

المبحث الأول: الصين 13

أولا: جغرافية بلاد الصين 13

ثانيا: أوضاع الصين من سقوط سلالة التانغ الى الغزو المغولي 15

المبحث الثاني: التاريخ المبكر للمغول.....18

أولا: موطن المغول 18

ثانيا: أصول المغول.....20

الفصل الاول

تأسيس الامبراطورية المغولية والحروب على جبهة الصين

المبحث الأول: توحيد القبائل وقيام الدولة المغولية.....24

أولا: أوضاع منغوليا في القرن (6هـ/12م).....24

ثانيا: قيام الدولة المغولية 27

المبحث الثاني: حروب المغول على جبهة الصين 30

أولا: غزو الصين في عهد جنكيز خان (602-624هـ/1206-1227م) 31

أ/مملكة التانغوت "شيا الغربية" 31

ب/مملكة كين "ملوك الذهب" 36

ثانيا: غزو الصين في عهد خلفاء جنكيز خان 42

أ/ في عهد أوكتاي قآان (627-638هـ/1229-1240م) 43

ب/في عهد منكو قآان (648-657هـ/1250-1259م) 47

الفصل الثاني

إمبراطورية المغول في الصين (سلالة إيوان)

المبحث الأول: قوبلاي قآان وتأسيس أسرة إيوان 53

أولا: شخصية قوبلاي 53

ثانيا: صراعات قوبلاي على منصب الخان 55

أ/الصراع مع شقيقه أريق بوكا 55

ب/الصراع مع الحركات المعارضة 60

المبحث الثاني: الصين خلال عصر سلالة ايوان 65

أولا: عهد قوبلاي قآان (658-694هـ/1260-1294م) 65

أ/ توحيد بلاد الصين 66

ب/ إصلاحات قوبلاي قآان 68

ثانيا: خلفاء قوبلاي قآان 74

أ/ عصر القوة (693-706هـ/1294-1307م) 74

ب/عصر الضعف (انهيار حكم سلالة ايوان) 76

خاتمة 81

ملاحق 85

بيبليوغرافيا 88

فهرس المحتويات 97